حول معاجم اللغة العامية المغربية*

عرض تاريخي

للأستاذ الدكتور محمد بن شريفة

مما يلفت النظر ويدعو إلى الانتباه أنه ادعى القدرة على معارضة القرآن إقبال الباحثين الأجانب على دراسة الكريم، ويوجد في أول المعجم العاميات العربية واهتمامهم بتدوين المذكور[١] نموذج يدل على سفاهة ألفاظها ونصوصها، وليس ذلك الإقبال رأيه وتفاهة عقله، فهذا الراهب قد وهذا الاهتمام مما ظهر في العصر تعلم العربية ليحاول بها تنصير الحديث ، فقد وجد منذ عهد بعيد، ولا المسلمين في الأندلس والمغرب شك أن لهذه الظاهرة بواعث وأسبابًا وليحاجج علماءهم ويجادلهم .

وأغراضًا وأهدافًا، ومن أبرزها ما وفي كتاب المعيار[٢] نص كامل يتصل بالتبشير ويقترن بالاستعمار لمناظرة جرت في مدينة مرسية بين وتوجد أمثلة عديدة في هذين الراهب وبين العالم الأديب المرسي الموضوعين أذكر منها فيما يتعلق أبي الحسين على ابن رشيق[٣]، ويفهم بعامية الغرب الإسلامي مثال الراهب منها أن الراهب المذكور كان عارفا القطلاني ريموند مرتين الذي ألف في بمقامات الحريري[٤] وله تآليف في منتصف القرن السابع الهجري معجما المجادلة بين الأديان ظهر فيها اطلاعه عربيًّا لاتينيًّا وآخر لاتينيًّا عربيًّا حسب على كتب الغزالي وغيره[٥].

العامية الأندلسية. وكان هذا الراهب ويعد هذا الراهب مع الراهب قد بلغ في اللغة العربية فصيحها رامن لل من المؤسسين للاستشراق وعاميها مبلغًا كبيرًا ، وبلغ به الغرور الأوربي . [٦]

*ألقى هذا البحث فى الجلسة السادسة من الدورة الخامسة والستين يوم الخميس ٢٣ من ذى القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١١ من مارس (آذار) ١٩٩٩م

وأضيف إلى هذا المثال الراهب بدرو دي الكالا [٧] الذي ألف في نهاية القرن التاسع الهجري(الخامس عشر الميلادي) معجمًا في العامية الأندلسية أيضا وهو يمثل لهجة أهل غرناطة وما يتصل بها. أما معجم ريموند مرتين فإنه يمثل لهجة أهل شرق الأندلس. وقد جاء بعد هذين الراهبين رهبان آخرون دونوا ألفاظ العامية المغربية كما سمعوها في زمنهم ، وكان آخرهم الراهب الإسباني J.LERCHUNDI الذي أكمل في مدينة طنجة معجمه الإسباني العربي عام ١٨٩٢م [٨] وقد مر أزيد من قرن على ما فيه من كلمات واستعمالات كانت شائعة في شمال المغرب.

وأما اهتمام الأجانب بدراسة العاميات العربية لأغراض استعمارية فقد نشأ عندما فكر الأوروبيون في غزو البلاد العربية واستعمارها فأسسوا لذلك مدارس منها في فرنسا على سبيل المثال –مدرسة اللغات الشرقية الحية: École des Langues Orientales Vivantes وتوسعوا في هذا الشأن بعد تسلطهم على البلدان العربية وتحكمهم فيها فأحدثوا معاهد عليا لدراسة اللهجات العربية العامية واللهجات الأمازيغية لتعليم أطرهم المختلفة، وألفت كتب في قواعد هذه اللهجات ووضعت معاجم في مفرداتها، وكانت تمنح فيها شهادات مختلفة، ومن هذه المعاهد على سبيل المثال أيضا المعهد الذي أسس بالرباط في عهد الحماية الفرنسية وسمي"معهد الأبحاث العليا المغربية " Institut des Hautes Études Marocaines ، وقد نشر هذا المعهد من بدايته سنة ١٩١٥م إلى نهايته سنة ١٩٥٩ عددا كبيرًا جدًّا من النصوص في اللهجات العامية العربية واللهجات الأمازيغية على اختلافها .

وقد عني أحد الدارسين في المغرب[٩] بوضع فهرس تحليلي باللغة الفرنسية لهذه المنشورات ، وهو من المطبوعات الأخيرة لكلية الآداب في الرباط [١٠] ، ونشرت هذه الكلية أيضا كتابا باللغة الفرنسية اشتمل على

عناوين الأبحاث والدراسات التي أنجزت في موضوع اللغات واللهجات في المغرب خلال ثلاثين سنة وهذا عنوانه[١١] :

Langue et Société au Maghreb, Bilan et Perspectives

ومن الواضح أن هذا الاهتمام الكبير باللهجات المغربية في عهد الحماية لم يكن بريئًا ولا خالصًا لوجه العلم، وإنما كان نتيجة تخطيط استعماري بعيد المرامي، وهذا ما كشف عنه المستعرب الفرنسي الشهير جورج كولان الذي كانت سلطات الحماية الفرنسية ترجع إليه وتستشيره في المسألة اللغوية بالمغرب، فقد كتب هذا المستعرب في الأربعينيات بحثًا عالج فيه مشكلة اللغة في المغرب واستبعد ما كان يطالب به الشباب المغربي المثقف من نشر الفصحى واعتبر إحلال الفصحى محل الدارجة أمرًا عسيرًا واقترح - فيما اقترح - حلَّين : أحدهما " تعميم الدارجة التي يفهمها الجميع واتخاذها كلغة للثقافة"والآخر هو "تعميم اللغة الفرنسية في المغرب وجعلها وسيلة للثقافة وحدها".

وقد أثار هذا البحث ردوداً في الصحافة المغربية والمصرية، ورد عليه الأستاذ المرحوم عبد الله كنون ردًا جميلاً دافع فيه عن الفصحى وانتقد ما ذهب إليه كولان من أن عامية المغرب هي أبعد عن الفصحى من عامية مصر والشام والعراق وقرر أنها من أقرب اللهجات إلى الفصحى لكثرة ما تشتمل عليه من التراكيب الصحيحة والكلمات الفصيحة، وساق طائفة من هذه الكلمات. وختم رده بأن بحث كولان المذكور أملته عليه السياسة وأنه كشف فيه عن نوايا الاستعمار الذي كان يعمل جاهدا على إضعاف اللغة العربية وإهمالها [١٢]. ومن المعروف أن الاستعمار الفرنسي فرض اللغة الفرنسية وجعل منها لغة رسمية للتعليم والإدارة ، ولم يعد للغة العربية وجود إلا في القضاء الشرعي والتعليم

الديني، ثم إنه قرر اللهجة العربية العامية واللهجات الأمازيغية في الإذاعة والمعاهد ذات الأعراض الاستعمارية ، ولكن الحركة الوطنية قاومت هذه السياسة وأنشأت مدارس حرة كانت لغة التعليم فيها هى العربية الفصحى. وقد كان لهذه المدارس وللمعاهد الدينية كجامعة القرويين وغيرها أثر عظيم في الحفاظ على الهوية الوطنية واللغة العربية خلال عهد الحامية الفرنسية.

ولما انتهى هذا العهد وقع تغيير الكثير من مظاهره وآثاره، ومنها على سبيل المثال معهد الأبحاث العليا الذي سبقت الإشارة إليه فقد أنشئت فيه كلية الآداب بالرباط وحلت محله، ووقع إلغاء تعليم اللهجات العربية المغربية الأمازيغية ولكن الفرنسيين وغيرهم تبنوها في معاهدهم ببلدانهم قاصدين بذلك إثارة النعرة وإيقاظ الفتنة .

وأذكر بعد هذا أن الباعث على الاعتراض الذي كان لدى الوطنيين المغاربة على تعليم اللهجات ودراستها هو الخوف على اللغة العربية الفصحى مما يضارها وينافسها فإذا انتفى هذا السبب فلا بأس من الالتفات إلى اللهجات والاعتناء بتراثها؛ لأن في هذا إغناء للفصحى وثراء للهوية. ومن هنا وجدنا الأستاذ المرحوم محمد الفاسي العضو الراحل عن هذا المجمع يخرج بعد الاستقلال أعمالا متعددة في الأدبيات العامية واللهجات العربية والأمازيغية كالأمثال العامية والحكايات الشعبية والأزجال المغربية التي تعرف بالملحون ، وقد توج هذه الأعمال بإخراج معلمة الملحون التي نشرتها أكاديمية المملكة المغربية في عدة أجزاء .

كما أن الأستاذ المرحوم عبد الله كنون العضو الراحل عن هذا المجمع قدم في بعض مؤتمرات هذا المجمع بحثًا عنوانه: عاميتنا والمعجمية، سرد فيه طائفة من ألفاظ العامية المغربية التي توجد - كما ينطقها المغاربة - في المعاجم العربية القديمة وقد رتبها على حروف الهجاء [١٣].

وأذكر هنا أني لما التحقت بجامعة القاهرة لتحضير الدكتوراه قصدت المرحوم عبد العزيز الأهواني الذي عرفته في المغرب إذ كان أول مستشار ثقافي لمصر في المغرب ورغبت إليه أن أحضر بإشرافه موضوعًا في الأدب العربي على عهد الموحدين وجرى خلال المحادثة ذكر أمثال عوام الأندلس التي نشرها في الكتاب التذكاري المهدى إلى عميد الأدب العربي،فقلت له: إن لدي مخطوطًا يشتمل على مجموعة أقدم وأعظم من التي نشرها، فأشار عليَّ بتسجيلها موضوعًا للدكتوراه وكانت إشارته حكما،وطاعته غنما؛إذ حصلت بفضله وفضل أستاذنا الدكتور شوقي ضيف وأستاذنا المرحوم عبد الحميد يونس على هذه الدرجة العلمية بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الأطروحة، وقد طبعت بمطبعة محمد الخامس الجامعية في جزأين ، وغدت من المصادر الأساسية لدراسة العامية الأندلسية التاريخية والمجتمع الأندلسي القديم، ولما قدم الأخ الزميل الدكتور عباس الجراري بعد زمن يسير من وصولي إلى القاهرة سجل بإشراف أستاذنا الأهواني أيضا موضوع القصيدة في الشعر الملحون المغربي، وقد حصل بها على الدرجة العلمية نفسها وطبعت في المغرب كذلك وأصبحت مرجعًا في بابها .

لقد كان لأستاذنا المرحوم الأهواني ولزميله أستاذنا المرحوم عبد الحميد يونس اعتناء معروف بالآداب الشعبية ودفاع عنها، يقول الأهواني رحمه الله في كتابه: الزجل في الأندلس :"لقد كان ابن خلدون جريئًا وكان سابقًا لأبناء عصره حين أعلن أن الشعر ليس مقصورًا على العرب وأن البلاغة ليست وقفًا على اللغة المعربة وكان واسع الأفق حين ضمن مقدمته نماذج من الشعر الملحون ودافع عنه، وأحسب أننا في العصر الحاضر لم نعد في حاجة إلى الدفاع عن هذه

الفنون التي اتخذت العامية أداة التعبير فيها، ولم نعد في حاجة إلى القول بضرورة معرفتها وإلى تبرير دراستها" (١٤) .

أنتقل بعد هذا المدخل إلى الحديث عن معاجم العامية المغربية فأبدأ بالإشارة إلى أن أقدمها يرقى إلى القرن الرابع وأعني به كتاب " لحن العامة " الذي ألفه اللغوي الأندلسي الكبير أبو بكر الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ ، وهو مطبوع (١٥)، وقد جمع فيه الكلمات التي أفسدتها العامة في الأندلس إما بإحالة لفظها أو بوضعها في غير موضعها، ولكن الزبيدي اقتصر على لحن الخواص، ولم يجتلب ما أفسده الدهماء، ومع ذلك فإنه يعتبر أول من رصد مظاهر التغيير التي حدثت في اللغة العربية بالأندلس ، وقد جاء بعد الزبيدي لغوي مغربي هو أبو عبد الله بن هشام السبتي المتوفى سنة ٥٧٧ هجرية فتوسع في عرض مظاهر اللحن الطارئة على اللغة العربية في المغرب والأندلس وأسمى كتابه المدخل إلى تقويم اللسان، وكان أستاذنا المرحوم عبد العزيز الأهواني أول من درس هذا الكتاب ونشر ما ورد فيه من ألفاظ مغربية وأمثال عامية (١٦) ثم نشر بعد ذلك مرتين(١٧). وما يزال عدد كبير من الألفاظ والأمثال العامية التي دونها ابن هشام السبتي في القرن معروفا ومستعملا في العامية المغربية إلى اليوم .

وفي القرن الثامن الهجري عني ثلاثة من أعلام الأندلس والمغرب بموضوع لحن العامة وهم أبو عبد الله محمد بن هانئ السبتي المتوفى سنة ٧٣٣ وأبو عبد الله ابن جزي المتوفى سنة ٧٤١ هجرية وأبو جعفر أحمد بن خاتمة المتوفى سنة ٧٧٠ هجرية ولكن هؤلاء الأعلام لم يضيفوا شيئًا ذا بال وكان جل اهتمامهم منصرفًا إلى ترتيب الألفاظ التي جمعها ابن هشام السبتي مع تهذيبها وتقريبها، وذلك حسبما يظهر من كتاب ابن خاتمة الذي أسماه: "إنشاد الضوال وإرشاد

السوال" [١٨] ثم جاء مؤلف من أهل القرن التاسع الهجري – فيما يبدو – فاختصر كتاب ابن خاتمة الذي كان هو أيضًا اختصارا لكتاب ابن هانئ السبتي،وقد نشر المستعرب كولان هذا الاختصار الأخير الذى لا يعرف مؤلفه في مجلة هسبيرس[١٩]، وفي أواخر القرن التاسع أو أوائل القرن العاشر للهجرة ألَّف مجهول كتابًا سماه: الجمانة في إزالة الرطانة، وقد نشره الأستاذ المرحوم حسن حسني عبد الوهاب العضو الراحل عن هذا المجمع [٢٠] ويتعلق معظم ما في هذا الكتاب بتحول الصيغ، وهو في جملته إضافة جيدة في الموضوع ، ويقدم صورة واضحة لما كانت عليه اللهجة الحضرية التونسية في زمن المؤلف. إن اعتبار هذه الكتب من قبيل المعاجم لا يخلو من التجوز، وهي في جملتها تنتمي إلى طائفة من كتب التصويب اللغوي التي ظهرت في مشرق العالم العربي ومغربه [٢١]، ولعل الرسالة المنسوبة إلى الكسائي في لحن العوام هي أول ما ألف في هذا الباب [٢٢].

وثمة معاجم أخرى في عامية الغرب الإسلامي هي التي يصدق عليها اسم المعاجم حقيقة وقد ألفها أجانب مستعربون في عصور مختلفة وهي ثنائية اللغة، وأولها معجم لاتيني عربي عنوانه :– Glossarium Lation Arabicum ومؤلفه مجهول من أهل القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) ولم أتمكن من الوصول إليه الآن كي أصفه، ويوجد وصف وتحليل لمحتواه العام في مقدمة تكملة المعاجم العربية لدوزي الذي استعمله وقال: إن الحصيلة التي استخرجها منه أقل غنى من سواه [٢٣] .

ويأتي بعد هذا حسب الترتيب التاريخي المعجم الذي ذكرناه فيما سبق ، وهو المعجم الذي ينسب إلى الراهب القطلاني ريموند مرتين من أهل القرن الثالث عشر الميلادي (القرن السابع الهجري) ،

ويتألف هذا المعجم من قسمين كبيرين: القسم الأول عربي - لاتيني، يبدأ بالكلمة العربية ثم المقابل اللاتيني، والقسم الثاني لاتيني - عربي، وفي هذا القسم لا يكتفى بمقابل عربي وإنما يؤتى بمرادفات واشتقاقات وتصاريف وتراكيب في كل مادة، ومن هذا تظهر القيمة الكبيرة لهذا المعجم ، ومما يتميز به الشكل التام الذي يعرف به كيفية النطق في كل كلمة .

وليس من غرضي الآن تقديم خلاصة ما عن طبيعة العامية كما تبدو في هذا المعجم، ولكني أشير إلى أن عدداً من مظاهرها يلتقي مع ما في كتب لحن العامة التي سبق ذكرها، كما أن عددا كبيرا من ألفاظ هذا المعجم ما تزال موجودة في العامية المغربية إلى اليوم، وسأقتطف مادة واحدة من القسم الثاني من هذا المعجم تدل على طريقته ،جاء في شرح كلمة FLALA ما يلي :" لمة لمات - زجاجة زجاجات - دبلة دبل - قطيع قطعان - علالة علالات - سعدية سعديات - طاهرية طاهريات وطواهر - فياشة فياشات - مرشة... مرشات - قارورة قوارير - إبريق أباريق"[٢٤].

فهذه كلها أسماء أواني متقاربة ومنها ما هو فصيح كإبريق وأباريق وقارورة وقوارير وزجاجة وزجاجات، ومنها ما هو من قبيل الألفاظ الأندلسية المغربية، مثل كلمة القطيع وقد شرحها ابن سعيد في المغرب بأنها قنينة طويلة العنق، ومثلها العلالة التي فسرها ابن هشام اللخمي بأنها نوع من الزجاج طويل العنق والكلمتان واردتان في الأشعار والأزجال الأندلسية والمغربية ولكن العلالة ترد عند ابن قزمان بلفظ العلال وما تزال مسموعة هكذا، وكلمة مرشة تطلق على قارورة تملأ بماء الزهر يرش به الضيوف ولا يخلو منها أى بيت مغربي، وكلمات لمة ودبلة وفياشة كلها أسماء أوان من الزجاج ولكنها لم تعد مسموعة في الدارجة المغربية اليوم، وأما طاهرية

وطاهريات وسعدية وسعديات فإنها حسب اجتهادنا أسماء أنواع من الأواني الزجاجية استعملت بمدينة مرسية في عهد بني طاهر وبني سعد ابن مردنيش [٢٥] .

إن هذا المعجم يشتمل على ثروة هائلة من الألفاظ الأندلسية والمغربية التي كانت مستعملة في العصر الوسيط بالغرب الإسلامي، وما يزال كثير منها مسموعًا في بلدان المغرب الكبير، ومنها -على سبيل المثال- الكلمات التالية :

البراح (أي المنادي) ص ٥٣٢. الرقاص (من يمشي بالبريد) ص ٣٢٨ . السباط (النعل) ص ٣٨٥. الزفاط (الكذاب) ص ٢٥٣ البسالة (الفضول) ص ٣٢٨. الدبيلة(الهم) ص ٢٤٥ . الحواس (السارق وقاطع الطريق) ص ٥٣٢. السماط (الزقاق) ص٢٧٦. الزرع(القمح) ص ٢٧١. الخدية (المخدة) ص٢٦٣. الخوخة (باب صغير) ص ٥٢٥. القندورة (الدراعة) ص ٢٧٧. القرينة (الكابوس) ص٢٧٢. الطروس (الكلب) ص ٢٧٩ الخطارة (نوع من السواقي) ص٢٩١. الفحص (البيداء) ص٢٧٧. أم الحسن (العندليب) ص٥٢٢ . الطيفور (نوع من الصحون) ص٤٧٤.المرجع (مسلحة في الحقل) ص٢٣٥.البندير (الدف) ص٦١٠.المخفية (نوع من الصحون).الحضار (الكتاب) ص٢٧٢. القنوط (القصبة والكلخة) ص٢٥٤. شرايي (صيدلاني) ص٢٤٧. الشرجب (النافذة) ص١٥٠. القبلة (الجنوب). الجوف (الشمال) ص٢٠٠ . الطياب (الصحو) ٥٧٧ .

وقد قدر الله أن تذهب العين ويبقى الأثر فقد فجع شرق الأندلس بذهاب العربية وأهلها من هذه الجهة الواسعة وبقي الكلام الذي كانوا يتخاطبون به مجموعًا في هذا المعجم الذي عني بنشره المستعرب الإيطالي سكيا

باريللي SCHIA PARELLIوطبع في روما عام ١٨٧١م .

وثمة معجم ثالث يأتي بعد المعجم المذكور من حيث الترتيب التاريخي ولا يقل عنه قيمة وأهمية وهو معجم الراهب الإسباني بدرو دي ألكالا الذي نشر في غرناطة عام ١٥٠٥م وهو كسابقه أُلّف بقصد الاستعانة به على تنصير المسلمين الذين بقوا تحت الذمة، وقد قام العضو الزميل فيديريكو كوريينتى بإعادة ترتيب هذا المعجم على أساس جذور الكلمات مع تعليقات وتدقيقات المتخصص المتمكن [٢٦]، ومن أبرز المظاهر اللغوية في هذا المعجم الذي كتبت فيه الكلمات العربية بحروف لاتينية مظهر الإمالة التي عرفت بها اللهجة الغرناطية، كما ذكر ذلك ابن الخطيب [٢٧] وغيره، فهم يقولون .: بيب وميل ونيس في باب ومال وناس، وقد سخر الشاعر المغربي عبد العزيز الملزوزي لما زار الجزيرة الخضراء مع السلطان المريني وسمع إمامًا فيها يصلي بالناس ، وهو يقرأ سورة قل أعوذ برب الناس بإمالة أهل البلد الشديدة فقال من شعر له :

قد بدل الوسواس بالوسويس
وكذلك الخناس بالخنيس [٢٨]

وأشير بعد هذا إلى عمل يتصل بمعجم ألكالا قام به راهب طليطلي اسمه :

PATRICIO DE LATORE.

فقد قام هذا الراهب – الذي عاش في المغرب وسكن طنجة – بإعادة النظر في معجم ألكالا فقد كتب ألفاظه بالحروف اللاتينية وأضاف كلمات ومعاني جديدة ووضع له العنوان العربي التالي :

سراج في اللغة العجمية، المنقولة من اللغة الإسبانيولية إلى العربية .

وتحت هذا ما يلي :

VOCABULISTA CASTELLANO ARABICO

وقد طبع هذا المعجم في المطبعة الملكية بمدريد سنه ١٨٠٥م [٢٩]. إن هذا الراهب الطليطلي يعتبر استمراراً للمذكورين قبله في الحرص على تعلم اللغة العربية عامة، واللغة العامية

المغربية خاصة لغرض التبشير كما قلنا سابقًا ويمتاز عمل هذا الراهب بأنه يفيد في تصور التطور الذي وقع في العامية في وقته كما أنه سجل عددا من الأمثال المسموعة يومئذ كقولهم:

" ما هو العيب على من حرث في السطح العيب على من خمس عليه ".

ومما يلحق بهذه المعاجم المعجم الذي ألفه المستعرب الإسباني وعنوانه :

D. Francisco Javier Simonet Glosario de Voces Ibericas y Latinas Usadas Entre los Moz Arabes

وقد جمع فيه الألفاظ التي كان يستعملها المستعربون وهم النصارى الذين عاشوا في ظل دولة الإسلام في الأندلس وكانوا يتكلمون ويتعاملون بلغة عربية فيها آثار رومانثية، وقد طبع هذا المعجم الذي يقع في جزأين بمدريد سنة ١٨٨٨م. وكان هو والمعاجم التي ذكرتها قبله من مصادر المستعرب الهولندي دوزي في معجمه المفيد الذي أسماه " تكملة المعاجم العربية " وشهرته تغنينا عن الحديث عنه . وسنختم هذه السلسلة من معاجم اللهجات المغربية بمعجم يمثل اللهجة الدارجة بمدينة طنجة وشمال المغرب في سنة ١٨٩٢م . ونعني به معجم الراهب J.LERCHONDI وعنوانه :

Vocabulario Espanol Arabico ، وقد طبع هذا القاموس عدة مرات وكان مرجعًا للإسبان العاملين في مصالح الحماية الإسبانية بشمال المغرب وكذلك لدى أعضاء البعثة الكاثوليكية الإسبانية التي كان مقرها في مدينة طنجة، ويبدو أن إقامة سفراء الدول الأجنبية وقناصلها في هذه المدينة كان مما دعا إلى تدوين اللهجة العامية فيها من أجل التفاهم بها مع الأهالي وقد ذكر وليام مرسيه W.MARCAIS في مقدمة كتابه Textes Arabes de Tanger أن نصوصا من لهجة طنجة جمعها عدد من مستعربين أجانب، وقد اشتمل كتابه المذكور على نصوص متنوعة من هذه اللهجة شفعها بمعجم شرح فيه

الألفاظ الواردة فيها ورتبها على الحروف الهجائية وهي على درجة عالية من المعرفة اللغوية والتوثيق الواسع والإحالات الغنية، ولا عجب في هذا فقد كان الرجل من شيوخ الاستعراب في فرنسا وقد تتلمذ على يديه عدد من المستعربين الفرنسيين في مدرسة اللغات الشرقية الحية، ومن أبرزهم كولان الذي حقق ونشر نصوصًا عربية وعامية مختلفة وكتب أبحاثًا متنوعة في اللهجات وترك معجمًا شاملا في العامية ظهر بعد وفاته في طبعتين : إحداهما بإشراف السيد زكية العراقي من معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط والأخرى قام بها ألفريد دوبريمار الأستاذ بجامعة ايكس .

وبعدُ، فهذا عرض عام لمعاجم العامية المغربية التي وضعت قديمًا وحديثًا، وقد سردتها سردًا تاريخيًّا مكتفيًا بما له قيمة لغوية وعلمية واضحة، وكنت أنوي أن أشفع هذا المسرد المعجمي بمسرد آخر لنصوص العامية المغربية المنشورة من أزجال وأمثال وحكايات وما ألِّف من قواعد وضوابط في مختلف اللهجات المغربية، ولكن وحدة الموضوع جعلتني أكتفي بما ذكرت، وقد سبق لي أن أنجزت بعض الدراسات في أمثال العامية المغربية وأزجالها (٣٠) .

وأود أن أشير إلى قيمة هذه النصوص وتلك المعاجم في دراسة مظاهر التطور اللغوي في البلاد العربية عبر العصور وهو التطور الذي تحدث عنه ابن خلدون في المقدمة (٣١) وقام باحثون غربيون وعرب بدراسته وكان منهم الألماني يوهان فك الذي قدم عملاً جيدًا في هذا الباب وقد أعجبتني العبارات التي ختم بها كتابه وهي قوله :

"إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسيًّا لهذه الحقيقة الثابتة وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط

الإسلامي رمزًا لوحدة عالم الإســـلام في الثقافة والمدنية .

ولقد برهن جبروت التراث العربـــي التالد الخالد على أنه أقوى من كـــل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر.

وإذا صدقت البوادر ولـــم تخطـــئ الدلائل فستحتفظ بهـــذا المقام العتيـــد مـــن حيـــث هـــي لغـــة المدنيـــة الإسلاميـــة ما بقيـــت هنـــاك مدنيـــة إسلاميـــة " [٣٢] .

إيضـــــاح

مرفق بهذا البحث تتمّة له تقـــع فـــى ثلاثة أجزاء :

(أ) أمثال العوام في الأندلس لأبي يحي الزجـــالي (ق٧) وفوائدهـــا اللغويـــة ص١٥١.

(ب) ملعبة الكفيف الزرهونـــي (ق٨) وقيمتها اللغوية ص١٨٧.

(جـ) العامية الأندلسية والمغربية فـــى أمثـــال الزجـــالى وملعبـــة الكفيـــف الزرهونى ص١٩٤.

الحواشي

١-انظر النموذج المذكور في مقدمة الجزء الأول ص XVI وص XVII .

٢-المعيار ١١: ١٥٥ - ١٥٨ نشر وزارة الأوقاف المغربية .

٣-ترجمته فى الإحاطة .

٤-انظر كلام الراهب المذكور عن المقامات واستشهاده ببيتي الحريري "اللذين أسكتا كل نافث، وأمنا أن يعززا بثالث" في المعيار ١١ : ١٥٧.

٥-تاريخ الفكر الأندلسي تأليف بالنثيا وترجمة حسين مؤنس ٥٤٠- ٥٤٢.

٦-انظر دراستنا حول الجذور التاريخية للاستعراب الإسباني في كتاب المغرب في الدراسات الاستشراقية . مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ١٩٩٣ م .

٧-انظر فيه مقدمة الجزء الأول من تكملة المعاجم العربية لدوزي:ص X.

٨-Vocabulario Espanol Arabico : XV

٩-هو السيد جادة القيم على مكتبة كلية الآداب بالرباط .

١٠- Bibliographie Analytique des Publications de l'Institut des Hautes Études Marocaines 1915 - 1959

١١-هو من مطبوعات كلية الآداب بالرباط سنة ١٩٨٩م .

١٢-انظر بحث الأستاذ عبد الله كنون في كتابه التعاشيب من ص ١١٩ إلى ص ١٣٥.

١٣-نشر هذا البحث في كتاب خل وبقل من ص٥٩ إلى ص ٨٧ .

١٤-الزجل في الأندلس، مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية : هـ، ٩ .

١٥-طبع بمصر في سنة ١٩٦٤م بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ثم طبع بالكويت سنة ١٩٦٨م بتحقيق الدكتور عبد العزيز مطر .

١٦-نشرت الألفاظ المغربية فى مجلة معهد المخطوطات العربية في الجزأين الأول والثاني من المجلد الثالث سنة ١٩٥٧ م .

١٧-نشر أول مرة مجزءاً بتحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، ثم نشر مرة ثانية كاملاً بتحقيق المستعرب الإسباني خوسيه بيرس لاثرو.

١٨–يوجد هذا التأليف مخطوطًا ضمن مجموع في الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم ١٢٣١٥ .

١٩–انظر المجلد ١٣ سنة ١٩٣١م وأعاد الأستاذ إبراهيم السامرائي نشره في كتابه نصوص ودراسات عربية وإفريقية ووهم في نسبته إلى ابن خاتمة .

٢٠–طبع كتاب الجمانة في مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩٥٣ م .

٢١–انظر إحصاء لها في معجم المعاجم لأحمد الشرقاوي إقبال من ص٦٦ إلى ص ٨٩ .

٢٢–طبعت هذه الرسالة بعناية عبد العزيز الميمني .

٢٣–تكملة المعاجم ج١ ص.vIII وص ix.

٢٤–انظر ص ٣٨٨ من القسم الثاني من المعجم المذكور .

٢٥–لعل دوزى وهم حين قرأ كلمتي طاهرية وطاهريات بالظاء المشالة ونسبها إلى السلطان الظاهر بيبرس كما نسب السعديات إلى من اسمه الشيخ سعد الدين راجع مادة طاهرية في معجم دوزي .

٢٦–عنوانه : Elléxico Arabe Andalusi . . Segun P. de Alcala Madrid 1988 .

٢٧–انظر الإحاطة لابن الخطيب ج١ ص١٣٤ .

٢٨–من مقامة نشرناها في العدد الأول من مجلة كلية الآداب بالرباط سنة ١٩٧٧م .

٢٩–انظر كتاب Braulio Justel Calabozo حول هذا الراهب الطليطلي، وهو من مطبوعات دير الأسكوريال سنة ١٩٩١ م .

٣٠–أمثال العوام في الأندلس – القسم الأول من ص ٢٧٣ إلى ص ٣٠٠ مطبعة جامعة محمد الخامس ١٩٧٥ وملعبة الكفيف الزرهوني من ص ٤١ إلى ص ٥٠ والعامية الأندلسية المغربية بين أمثال الزجالي وملعبة الكفيف الزرهوني .فصلة من أعمال

الملتقى الدولي حول التداخل اللغـــوي بين اللغة العربية واللغات الرومانثيـــة في شبه الجزيرة الإيبيرية سرقســـطة سنة ١٩٩٤م .

٣١-المقدمة (فصل في أن لغة أهـــل الحضر والأمصـــار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر) .

٣٢-العربية - دراســـات فـــي اللغـــة واللهجات والأساليب :٢٣٤ .

محمد محمد بن شريفة

عضو المجمع المراسل من المغرب

أ- أمثال العوام في الأندلس لأبي يحيى الزجالي (ق ٧)
وفوائدها اللغوية

-من المعروف أن للأمثال العامية الأندلسية وغيرها فوائد تاريخية واجتماعية وأدبية، ولهذه الأمثال أيضا قيمة لغوية لا تقل أهمية عن قيمتها من النواحي التاريخية والاجتماعية والأدبية، وهي بلا شك تضيف مادة جديدة إلى ما هو معروف حتى الآن من نصوص ووثائق العامية، في الأندلسية كأزجال ابن قزمان وغيرها من النصوص العامية، وكتلك السلسلة من المؤلفات الأندلسية في لحن العامة التي بدأها أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩) وتبعه ابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧) وابن هانئ السبتي الإشبيلي(ت ٧٣٣) وابن جزي الغرناطي (ت٧٤١) وابن خاتمة (ت٧٧٠) ، وتلك المعجمات الثلاثة التي أُلِّفَتْ في إسبانيا خلال القرون الوسطي وحوت كثيرا من مفردات العامية الأندلسية، مثل المعجم اللاتيني العربي :

Glossarium lation – arabicum

الذي ألفه مجهول في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) ، والمعجم الذي ينسب إلى الراهب القطلاني رمند مرتين(*) من أهل القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) وعنوانه :

Vocabulista in arabico

والمعجم الذي ألفه الراهب فرأى بدور الكالا نحو سنة ١٥٠٥م بعنوان :

Vocabulista arauigo

وربما كانت الأمثال كالأزجال من أكثر هذه الوثائق قيمة في معرفة طبيعة العامية الأندلسية وخصوصاً

(*) انظر فيما كتب في رمند مرتين والقاموس المنسوب إليه ومؤلفاته الأخرى كتاب تاريخ الفكر الأندلسي لبالنثيا (ترجمة د. مؤنس) من ص ٥٤٠ إلى ص ٥٤٢ والمصادر التي جال عليها ، وفي مجلة الأندلس مقالات حول معجمه المذكور .

من حيث البناء والتركيب ومجال الاستعمال بوجه عام، ذلك أن كتب لحن العامة والمعاجم المذكورة لا تعنى إلا بالألفاظ والمفردات ودلالاتها وتطوراتها، وقد اهتم جماعة من الباحثين بدراسة الناحية الصوتية في العامية الأندلسية مثل سيمونيت وشتايجر، وعكف الأستاذ كولان منذ زمن بعيد على استخراج قواعد عامة لها، ولعل هذه الأمثال تقدم مادة جديدة للمشتغلين بدراسة العامية الأندلسية .

وقد نشأت هذه العامية الأندلسية في ظروف تاريخية لا نكاد نعرف من أمرها شيئًا ذا بال مثلها في ذلك مثل سائر اللهجات العربية ، وهي على كل حال ثمرة انتشار العربية في بيئات جديدة متعددة العناصر واللغات، ونتيجة اختلاط العرب الفاتحين بغيرهم من العجم والبربر، ومظهر لها يطرأ على العربية عادة من التبديل والتغيير حين يتكلم بها غير أهلها ، وقد وصف ابن حزم بعض هذا الذي ظل يحدث في عامية الأندلس حتى عصره فقال : " ونحن نجد العامة(يقصد عامة الأندلس) قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلا ، وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق، فنجدهم يقولون في العنب: العينب ، وفي السوط: اسطوط، وفي ثلاثة دنانير : ثلثدا . وإذا تعرب البربري فأراد أن يقول الشجرة قال : السجرة ، وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء فيقول : مهمدا ، إذا أراد أن يقول محمدًا[1] "ويشير إلى اختلاف عامية الأندلس بين بلد وآخر فيقول : " ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد يقول: إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة،وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله [2]

(١) الأحكام في أصول الأحكام :٢٣١

(٢) المصدر نفسه : ١ : ٣١

ونجد عند ابن شُهيد – معاصر ابن حزم – إشارة عامة ولكنها لا تخلو من دلالة حيث يقول في رسالة التوابع والزوابع – متحدثا عن كلام معاصريه من الكُتَّاب فيما بينهم – بأنه : " ليس لسيبويه فيه عمل، ولا للفراهيدي إليه طريق ولا للبيان عليه سمة ، إنما هي لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط[1] ". وقبل ابن حزم وابن شُهيد ألف الزبيدي كتابه لحن العوام وأشار فيه إلى بعض مظاهر العامية في عصره كما سنذكر شيئا من ذلك فيما بعد، وأشار المقدسي في القرن الرابع إلى لغة أهل الأندلس فقال :" ولغتهم عربية غير أنها منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الأقاليم، ولهم لسان آخر يقارب الرومي"[2] فالمقدسي يقرر هنا صعوبة العامية الأندلسية على فهم المشارقة ومخالفتها لعامية المشرق كما قرر مسألة أخرى هي الازدواج اللغوي الذي سنشير إليه بعد قليل .

ويبدو أن ظهور الموشحات والأزجال كان مؤذنا بأن العامية الأندلسية بلغت ذروة التكوين والاستقرار ، وأصبحت لهجة أدبية تنافس الفصحى، فإذا وصلنا إلى القرن السابع الهجرى وجدنا ابن سعيد يصف لغة أهل الأندلس في عصره فيقول : "مع أن كلام أهل الأندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية، حتى لو أن شخصًا من العرب سمع كلام الشلوبيني أبي علي المشار إليه بعلم النحو في عصرنا الذي غربت تصانيفه وشرّقت وهو يقرئ درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذي في لسانه، والخاص منهم إذا تكلم بالإعراب استثقلوه واستبردوه، ولكن ذلك مراعى عندهم في القراءات

(١) التوابع والزوابع : ١١٧ .

(٢) أحسن التقاسيم : ٢٤٣ ط . دى خويه

والرسائل[1] " وهذا يصور بُعْد ما بين لغة الكلام والتدريس ولغة الكتابة والإنشاء .

وأخيرًا نجد ابن خلدون يقرر في مقدمته أن لغة أهل الأندلس لغة قائمة بنفسها، مباينة-بعض الشيء-للغة أهل المشرق وللغة أهل المغرب أيضا، وأنها متأثرة بعجمة الجلالقة" [2] .

وقد اشتركت في تكوين العامية الأندلسية عوامل عديدة نذكر منها مايلي:

١-لهجات القبائل العربية الداخلة إلى الأندلس من قيسية ويمنية، وقد عني كل من ابن حزم في الجمهرة وابن غالب في فرحة الأنفس بتبيين المواقع التي استقرت بها الجماعات العربية الداخلة إلى الأندلس[3]،وهي ممثلة لمعظم قبائل جزيرة العرب ، ولا شك أن ذلك كان له أثر في تكوين العامية الأندلسية، ومن الواضح أن بعض الألفاظ والظواهر اللغوية في هذه العامية كالإمالة ترجع إلى لهجات عربية معينة ، وثمة من المفردات التي شاع استعمالها فى الأندلس ما نستطيع أن ننسبه إلى عرب الشام الداخلين إلى الأندلس مثل كلمتي أندر[4] وإصطبل [5] ، والإمالة التي كانت غالبة على لسان أهل الأندلس قد تكون من تأثير القبائل التي تميل كتميم وقيس وأسد [6] ، وهي قبائل كانت تكوّن الجمهرة الغالبة في بعض جهات الأندلس . ومن الكلمات الشائعة الاستعمال في الأندلس كلمة " القطاع " أي النقود إذ نجدها كثيرا في أمثال

(١) نفح الطيب: ١ : ٢٠٦ .

(٢) المقدمة : ٥٥٥ (المطبعة الأميرية).

(٣) انظر نفح الطيب ١: ٢٧٢ – ٢٧٤ والثبت الذي استخرجه الدكتور إحسان عباس من الجمهزة في كتابه تاريخ الأدب الأندلسي: ١: ١٢-١٣.

(٤) انظر المثل رقم ٢٠٠ في النص .

(٥) لحن العوام للزبيدي :١٣٣ .

(٦) الفصل الخامس من كتاب فى الدراسات القرآنية واللغوية-الإمالة فى القراءات واللهجات العربية للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى .

الأندلسيين وأزجالهم وعقودهم، بل إننا نجدها فى شعرهم الفصيح كقول ابن مسعود القرطبي :

فقُلتُ وأيْنَ النقدُ يا ابنةَ عزة
لقد جئتِها بلقاء منتنة نتْنا فقالت : أديبٌ
شاعرٌ متفننٌ حَوى من حُظوظ الظرف
في زعمه الأسنى بِلاَ قِطْعَة ، هذي
لعمْرُك هُجْنة
فسِرْ راشدا عنَّا فمالَك من مَعْنى[1]

وهذه الكلمة من لغة هذيل فيما يقول شارح القاموس[2]، ونعرف مما ذكره ابن غالب أن قبيلة هذيل كانت بالأندلس، ومنازلهم بجهة أريولة من كورة تدمير[3] ، فهل تكون الكلمة شاعت في الأندلس بواسطتهم؟ وقليلا ما نصادف هذه الكلمة في استعمال المشارقة كقول شاعر عباسي :

كل حسْنٍ مفرّقٍ هو فِيهِ قد اجتمَعْ
قطَعَ الوصلَ بينَنا إنَّهُ يبتغي القِطَعْ[4]

ومما نحسب أنه من تأثير اللهجات العربية القديمة واستمرارها في العامية الأندلسية: كسر أول حروف المضارعة ، وهو مطرد في المضارع من صيغة " فعَّل " مثل : نِصَوَّب ، تِصوَّب ، يِصَوَّب ... إلخ. وكَذلك فِي صيغة " فَاعَلَ " مثل : نِعَامَلْ ، تِعَامَلْ ، يِعَاملْ ... إلخ .

وقد يكون ثمة تأثير لعرب الجنوب وغيرهم في عامية الأندلس، ولَعَلَّ مِن مَظَاهِره إلحاق التاء بآخر ضمائر الغيبة : هوت = هو ، هيت = هي، همت = هم ، وقد جاء هذا في بعض الأمثال :

مَنَاقِر اللَّحْم مُعَوَّجُ هِيَتُ (ابن عاصم ٧٦١).

٢-ومنها العجمية el romance أو الإسبانية القديمة،ذلك أن سكان الأندلس عموما كانوا يعرفونها، ولدينا هنا شواهد عديدة في هذا الموضوع، ولعل أشهرها قول ابن حزم : " ودار بلي بالأندلس : الموضع المعروف باسمهم بشمالي قرطبة، وهم هناك إلى

(١) الذخيرة ١/ ٢ : ٧٨-٧٩.

(٢) انظر المثل رام ٢٣٧ في النص.

(٣) نفح الطيب ١: ٢٧٢ .

(٤) حكاية أبي القاسم :١٣٣ .

اليوم على أنسابهم، لا يحسنون الكلام باللطينية، لكن بالعربية فقط، نساؤهم ورجالهم[1] ومفهوم هذا أن القبائل العربية الأخرى كانت تحسن - إلى جانب العربية - الكلام بالعجمية ، وفي قضاة قرطبة للخشني(ت٣٦١) نرى بعض القضاة والشهود والخصوم يتكلمون بها، فقد ذكر في ترجمة القاضي سليمان بن أسود" أنه كان في وقته رجل من العدول يعرف بابن عمار كان يختلف إلى مجلس القاضي ويلزمه، ولا يقوم إلا بقيامه، وكانت لابن عمار بغلة هزيلة تلوك لجامها طول النهار على باب المسجد، قد أضناها الجهد وغيرها الجوع، فتقدمت امرأة ، إلى القاضي، فقالت له بالعجمية: ياقاضي انظر لشقيتك هذه، فقال لها بالعجمية: لست أنت شقيتي، إنما شقيتي بغلة ابن عمار التي تلوك لجامها على باب المسجد طول النهار[2] كما ورد في وصف أحد الشهود ما يلي :" وكان حينئذ بالمدينة شيخ أعجمي اللسان يسمى: ينير ، وكان مقدما عند القضاة مقبول الشهادة مشهوراً في العامة بالخير وحسن المذهب، فأرسل فيه الوزراء ، وسألوه عن القاضي ، فقال بالعجمية: ما أعرفه إلا أني سمعت الناس يقولون: إنه إنسان سوء، وصغره باللفظ العجمي[3] " وفي ترجمة الفقيه ابن العطار في المدارك نراه يحاور زوجة وكيله، بضيعته بالعجمية، وكان ممَّا قالت بكلامها العجمي: سواد بيت تمضي إليه ! فقال لها بمثل كلامها: بل "سواد بيت خرجتُ منه"[4] .

ويرى الدكتور عبد العزيز الأهواني أن" وجود الخرجات الأعجمية في مخطوطات الموشحات الأندلسية دون شرح لمعاني ألفاظها دليل على أن هذه اللغة الأعجمية كانت معروفة لدى

(١) هكذا الضبط في النسخة م من "ري الاوام" فى المعاجم الأندلسية ، وكسر أول حروف المضارعة أو "التلتلة " فيه كلام كثير يراجع في محله من كتب اللغة .

(٢) قضاة قرطبة : ١١٧-١١٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٨٤.

(٤) الزجل في الأندلس : ٤٧.

قراء الموشحات[1] " وقد ظل الإلمام بعجمية الأندلس ظاهرة ملموسة إلى وقت متأخر لدى المؤلفين الأندلسيين ؛ إذ نرى ابن الآبار على سبيل المثال يشرح - في مناسبات عديدة - أسماء الأعلام والأماكن الأعجمية. وألفاظ عجمية الأندلس في كتب النبات أكثر منها في غيرها كما يبدو ذلك في كتاب المفردات لابن البيطار وكتاب شرح أسماء العقار وغيرهما، ويقول ابن البيطار في مقدمة المفردات:" وقد ذكرت كثيرا منها كما يعرف في الأماكن التي تنسب إليها الأدوية المسطورة كالألفاظ البربرية واللاطينية-وهي عجمية الأندلس - إذ كانت مشهورة عندنا وجارية في معظم كتبنا " . أثرت عجمية الأندلس هذه في العامية العربية من وجوه مختلفة أحدها دخول كثير من مفرداتها في قاموس الاستعمال العامي ، وقد أورد ابن هشام اللخمي طائفة من الألفاظ العجمية التي كانت جارية على لسان العامة بالأندلس في عصره، ومنها: أسباطه للخيزرانة التي يمسكها الملاح، ويجول لطرف التين، وبلنتة لما بكر من الشعير فطحن، والجيقة للضباب، وحبور لشقائق النعمان، والذنتيلة للطعام الذى يصنع عند نبات الأسنان للأطفال، والمرندة لما يتعجله الإنسان من الطعام قبل الغذاء[2].

ومن هذه المفردات العجمية الواردة فى الأمثال: البلين(ص٦) والرمشكل (ص٦) والمرجقال (ص١٨) والمول (ص٥٨) والقلبق (ص٩١) والبرغات (ص١١٤) وبردقون (ص١٤٠) وشنوغ (ص ١٤٤) وبرطال (ص٢٨) والباله (ص٢٨٧) والطمون(ص١٧٣) ودوش (ص٢١٤) وجره (ص٢٥٦) وقول(ص٣٢٤) والششون (ص٣٦٢) والليطرات (ص٣٦٤) والبلب (ص٣٢) وبشة (ص١٥٣) وغيرها.

ومن وجوه هذا التأثير تلك المقاطع

(١) المدارك٣-٤ : ٤٣٩(ط . بيروت).

(٢)انظر هذه الكلمات وما يقابلها في الإسبانية في ألفاظ مغربية: ١٤٢،١٤٦، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٢٨٦ ،٣١٣ على الترتيب .

والنهايات التي تضاف إلى الكلمات العربية مثل :

مقطع un في آخر الاسم للدلالة على التكبير كخلدون وزيدون وهو شائع في أسمائهم .

ولعل المؤرخ الرازي أقدم من أشار إلى هذا في نص نقله عنه الونشريبي في المعيار إذ يقول، في أثناء حديث عن ابن حفصون: " فولد عمر بن جعفر حفصا المعروف بحفصون - أريد به الكبير(*) "

ومقطع – ero كقولهم : زلير (ص ٣١٨ في النص) فهي كلمة مركبة من الفعل العربي، زل والنهاية الإسبانية : -ero

ومقطع – era كقولهم : خرجير (مثل ابن عاصم رقم ٢٤٤) وهي مركبة من الفعل العربي : خرج والنهاية الإسبانية : -era

ومقطع–ote في مثل قولهم : منخروط (ص ٢٨٤) فهي مركبة من الاسم العربي منخر ، والنهاية الإسبانية : – ote . ومقطع– el في الاسم المذكر مثل ابن غفريل فغفريل مركبة من غفر العربية والنهاية الإسبانية: el – ومقطع ela – في الاسم المؤنث مثل: شربالة للقدح (ألفاظ مغربية : ٢٩٤و Vocص ٦٣٨) فهي مركبة من المادة العربية شرب والنهاية الإسبانية،ela– ومثل حرالة أي حارة (Voc ص ٥١١) فهي مركبة من حارة والنهاية الإسبانية : –aelo ومقطع ello – المذكر ومقطع ella – للمؤنث في حالة التصغير . ولدينا بخصوص هذين المقطعين الأخيرين نص نقله ابن عبد الملك المراكشي عن النحوي المالقي ابن المرحل إذ يقول في ترجمة ابن حوط الله: " وذكر لي شيخنا أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن المالقي أن أصله حوطله، قال

(*) المعيار : ١٥/٨١، ويبدو أن هذا النص غاب عن علم الأستاذ الجليل السيد عبد الله كنون الذي ذهب – في مقالة له بعنوان :" هل اسم خلدون ونحوه مكبر على الطريقة الإسبانية، إلاّ أن دوزى هو أول من رأى هذا الرأى، (مجلة البحث العلمي ع . ٣ ، س، ١).

لي: وهو تصغير حوت مؤنث على عرف أهل ثغور شرق الأندلس وما صاقبها من البلاد كبلنسية وأنظارها التي منها أندة موضع سلف بني حوط الله، وتدريج ذلك أنهم يقولون للحوت والعود ونحوهما:الحَوت والعَود بفتح الحاء والعين.وينطقون بالتاء المعلوة طاء فيقولون في الحوت: الحوط ... ويلحقون الأسماء المصغرة في آخرها لامًا مشددة مضمومة في المذكر، ومفتوحة في المؤنث وهاءً ساكنة، فيقولون في حوت مذكرًا: حوطله،وفي حوت مؤنثا: حوطله[1] "وهذا الشوح الذي نقله ابن عبد الملك عن ابن المرحل المالقي السبتي يدل على إلمام هذا النحوي العربي المشهور بقواعد النحو الإسباني القديم.

كما أن الألفاظ العربية نفسها اكتسبت في الاستعمال العامي معاني جديدة لم تكن لها في أصل الوضع ، وظهرت مصطلحات خاصة وكنايات جديدة، فهم على سبيل المثال يقولون: فُلانة في قَميصها : للحائض . نَمْشِي لجَولة. كناية عن قضاء الحاجة.

قَصير الرَّقَبة : للكافر بالنعمة .

جَبَّاد رَسن . كناية عن القواد .

مِنْ بَاب لبَابْ . كناية عن السائل .

طَالبْ عافية . كناية عن المسالم .

نِعَدَّلْ اجْنَابُ . كناية عن الضرب والتأديب .

مِنْ عَرض الفَحْص . أي بلا سبب[2]

ونحن نجد كثيرًا من هذه الكنايات والاستعمالات الخاصة بهم في الأمثال وغيرها [3] .

٣-البربرية، ومن الطبيعي أن يكون لها تأثير ما في العامية الأندلسية لأن البربر كانوا يؤلفون قسمًا كبيرًا من

(١) الذيل والتكملة١: ٣٥ (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط) ، وبغية الوعاة :٢: ٤٤ نقلا عنه.

(٢) انظر Vocعلى الترتيب :٤٧٤،٤٧٧،٤٣١،٤٥٤،٥٠٦،٥١٧،٥٨١ . .

(٣) نذكر من صور توسعهم فى الاستعمال أنهم يستعملون فعل (قام)-على سبيل المثال-بمعنى (ثار) ، كما فى هذا المثل: قام قوم سو،وديروا راى سو رقم (١٧٨٧)وكما جاء فى السميسر : وجب القيام عليهم إذا بالنصارى قمتم

سكان الأندلس، وكان تأثيرهم فيها من حيث النطق كما أشار إلى ذلك ابن حزم في النص السابق، ويبدو أن بعض التراكيب الخاصة في أسلوب العامية الأندلسية هي من أثر استعمال البربر والعجم للعربية وتكلمهم بها، وقد دخلت طائفة من الكلمات البربرية إلى عامية الأندلس مثل أدغض أي اللبأ وأكدل أي المخصرة وكرانة أي الضفدع[1] وأسمس للمأدبة،وتمغرة كذلك، وتفرمه للباز[2] ومن الكلمات البربرية التي استعملها ابن قزمان مرارًا كلمة: قليد أو إقليد بمعنى أمير كقوله (زجل ٧٤) .

مَحْبُوبي فالمِلاَحْ قليِّدْ
والنَّاسُ عَبيدْ

وكذلك كلمة "أشكدْ " وهي فعل أمر بمعنى تعال وأقبل،و"أرول " بمعنى اذهب ونجدهما مستعملتين في أزجال ابن قزمان كقوله (زجل ٤١) :

يهْرب النَّحس مِني عَام مَتَى ما قل : أرْوَلْ
وترى السَّعْد مقبل متَى ما قِل : أشْكِد:

وكلمة " أر"وهي فعل أمر معناه : هات، كقول ابن قزمان : (الزجل في الأندلس : ٨٨)

أرّقط ومُد يَدَك إنّي قَد مدَدْت أنا يَد .
فاشَد ما عَلَى مَنْ يُمَاطِل أوْ يمحِج .

وهذا الفعل مستعمل بكثرة في العامية المغربية ولكن بتخفيف الراء لا بتشديدها كما يضبط فى الأزجال الأندلسية كما نجد عنده: افْكِيّي أي

=وكما فى هذه الحكاية التى رواها المقرى وهى أن سليمان بن المرتضى الأموى مر يومًا بالمضحك المشهور بالزرافة "وقد أوقف...وجعل يقول له:ماذا رأيت فى القيام فى هذا الزمان ؟ أما رأيت كل ملك قام كيف خلع وقتل؟ والله إنك سيء الرأى فقال له سليمان:وبم لبت هذا الثائر ؟ فقال : يا مولاى، بصفته : القائم! " ومثل هذا الاستعمال عند الآندلسيين قد يخفى على بعض المشتغلين بتراثهم، وفقد علق بعضهم على هذه العبارة لابن الآبار فى التكملة :" وانتقل عن بلنسية مصروفًا بالقائم فيها على واليها " بما يلى : " أى بالوصى عليه القائم بأمره! " .

(١) ألفاظ مغربية : ١٤٠ ، ١٤٤ ،٣٠٨ .

(٢) Voc ٣١٨ ، ٢٠٤ .

أعطني، وأسلو، وهو اسم لطعام ما استنبطها صفي الدين الحلي من يزال معروفا ويبدو أن استعمال ابن قراءته للأزجال ، وهي بارزة في قزمان لهذه الكلمات كان من قبيل الأمثال أيضا، ورسم التنوين بالألف التظرف أو التحبب إلى ممدوحيه من والنون نراه في المعاجم الأندلسية مثل المرابطين . المعجم المنسوب إلى رمند مرتين

ومن الكلمات البربرية التي وجدناها القطلوني[٢] ومعجم بطرس القلعي[٣]، في الأمثال قولهم :" هراكس" أي تعال وكذلك في بعض الوثائق المدونة (ص١٥٦)و " ترخص " أي البيسارة بالعامية مثل الوثيقة الغرناطية التي (ص٢٣٨)و " أغلال " (ص١٢٤) . نشرها الأستاذ كولان[٤]، ويدل ذلك ولكن تأثير العجمية والبربرية في على أن هذا التنوين المفتوح كان العربية لا يقارن بتأثيرها الكبير فيهما مستعملا في كلام الأندلسيين؛ العادي وهو ليس من موضوعنا هنا . وليس في الأزجال والأمثال فحسب ،

وبعد هذا التمهيد نقدم فيما يلي عرضًا وهذا النوع من التنوين الذي يرسم سريعًا لبعض القواعد العامة في بالألف والنون يقع في الأمثال دائما اللهجة الأندلسية من خلال الأمثال. بين نعت ومنعوت كل منهما نكرة

التنوين : " يجعلون كل منون سواء كان النعت مفردًا وهو الغالب منصوبًا أبدًا، ويكتبون اللفظة بمفردها كما في هذه الأمثال : مجردة من التنوين ويكتبون بعدها ألفا كَلاَم انْ كثير في حَاجَة انْ يَسير. ونونا مثل أن يكتبوا "رجلاً " على هذه (رقم ١١٢٣) الصورة :" رجل ان " [١] هذه قاعدة قرْدان مُهَاودْ أخيَر مِنْ غزَال انْ

(١) العاطل الحالي : ١٨

(٢) انظر على سبيل المثال Voc ص ٢١٩.

(٣) انظر على سبيل المثال الكالا:٢٣، ٤٢ ، ٤٥/٢ ، ٣٣٢/٣ .

(٤) نشرت في المجلد الثالث من مجلة Islamica بعنوان: Sur une charte hispano – arabe de 1312

شَرود . (رقم ١٨٠٢)

بَحَلْ زَفَّ انْ ناقِصْ علَى حِمَـــارة انْ عَرْجَ . (رقم ٦٣٧)

أو جملة كما في هذين المثلين :

الرَّقْصْ قُدَّام العُمي مجهودانْ لا يُـرى عَمَلُ (رقم ٣٢٩)

جُوعَ انْ تُهَدّدْ بالشَّبَعْ لسْ جُوعْ . (رقم ٧٧٥)

وهو مفتوح دائما سواء كان الإعـراب – على فرضه – يقتضي ذلك كما فـي هذا المثل :

مَنْ طَلَبْ دَيْن انْ قَديمْ طَلَب شَـــرَّ انْ جَديدْ (رقـــم ١٣٨٢)

أم لا، وقد يدغم الحرف المنون فـــي مثله فلا تبدو " ان " هذه كما في المثل التالي:

مَال الاَّ يَراهْ سيدُ الله لس يريدُ . (رقم ١٣٢٩)

والأصل حسب اصطلاحهم : مـــال ان لا يزاه ... ، وهـــذا التنويـــن يلحـــق الأسماء المنكرة فى حالة الإفراد كمـــا تقدم وفي حالة الجمع، ومثال ذلك :

أشيات ان اخـــر. أي أشيـــاء أخرى . (الكالا : ٣-٣٣٢) لأنـــهم يجمعـــون كلمـــة (شيء) على أشيات كما فـــي قـــول ابـــن قزمـــان (الزجـــل فـــي الأندلس:٧١):

والرَّبض لاَ شُيوخْ وَلاَ حُجَّاجْ
وأرامِلْ مِلاح بِلاَ أزْواج
ويَجُونِ طُولَ النَّهَار عن حَاجْ
وأشْيَات لِسْ يَنْبَغِي أنْ تُقَال

فهل هذا التنوين المفتوح دائما بقيـــة من بقايا الإعراب في العامية ؟ أو هـــو من آثار إحـــدى اللـــهجات العربيـــة الجنوبية القديمة ؟ أو أنه ليس ســـوى ضرب من التفصح العـــامي؟ ومـــهما يكن فإننا نجد ظاهرة التنوين المفتـــوح هذه في أمثال الشام كقولهم فيمـــا رواه نعوم شقير (ص ٢٨) :

شَرطا في الحَقْلة ولا قِتالاً عالبَيْدَرْ

وهو كثير في الأمثال العامية السودانية كقولهم :

فُلان فارسًا أعْمى يصُد الخيل وحْده.
كَلْبًا ما تَسْعَاه عِند القَنِيصْ ما بتلقَاهْ .

قَلْبا بالمَوَاصِي ، نَاسِي[1].

وذكر الأستاذ عبد المجيد عابدين في كتابه عن اللهجات السودانية أن هـذا التنوين " ظاهرة عامة في كلامهم في الشعر والنثر[2] " ويوجد التنوين في أمثال بعض البلدان العربية الأخرى كمصر[1] ونجد [2] ولكنه مكسور دائما، أما في العامية المغربية فلا يوجد التنوين في الكلام الجارى ولكنه يوجد في الشعر الملحون .

الإمالة : جاء في الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي في ترجمة ابن الرجاني ما يلي :" وبعضهم يكتبه الرجيني باعتبار إفراط الإمالة المستحكمة في لسان أهل الأندلس[3]" ووصف ابن الخطيب في الإحاطة ألسنة أهل غرناطة بالفصاحة العربية وقال : (وتغلب عليهم الإمالة"[4] ونجد في مقامة" طرفة الظريف، في أهل الجزيرة وطريف" لعبد العزيز الملزوزي وصفًا حيًّا لغلبة الإمالة على ألسنة أهل الجزيرة الخضراء فهو يلاحظ – في جملة ما يلاحظ– أنه " قد رجع سلامهم سليمًا،وكلامهم كليمًا، فقس على ذلك تصب ، فإنه على ذلك المنهاج نصب" وقد راعه أنهم يقرؤون القرآن بإمالتهم الشديدة تلك، قال: ومن غريب ما اتفق لي فيها (أي في الجزيرة الخضراء)، حين كنت أوافيها، أني مررت بإمام يصلي بالناس، وهو يقرأ" قل أعوذ برب الناس" :

قد بدّل "الوَسْواس" بالوَسْويس
وكذلك "الخنَّاس" بالخَنِّيس
وكذلك بدّل آية في آيةٍ
حتَّى " يوسْوِسُ في صُدور النّيس "
فأمهلته ريثما أتم صلاته وقراءته ،
ولبس عباءته وملاءته فابتدأته بأشد

(١) نعوم شقير، أمثال العوام في مصر والسودان والشام:١٢٨–١٢٩ وانظر أمثلة أخرى في ص١٣٠.

(٢) من أصول اللهجات العربية فى السودان:٩٦.

(٣) الذيل والتكملة : ٦ : ١٥٣(مخطوط باريس)

(٤) الإحاطة : ١ : ١٤٠ (ط. دار المعارف)

العتاب ، وقلت له لم بدلت الكتاب؟ وإثمه على الذين يبدلونه ، ووزره عليهم يحملونه ، فأقسم أنه قرأه كذلك على قراء عصره، وإن تلك لغة أهل عدوته ومصره، فقلت .

يا أهْلَ أندلسٍ مالي رأيْتُكم
أحدثتم في كتاب الله ألحانا
نَبذْ تُموه وبدَّلْتُم مَعَانِيَه
عمَّا بمصْحف عُثْمانَ بن عفَّانا
صَلُّوا الصَّلاة ولا ... بها سُوَرًا
فقَدْ رددتم على ... فُرقانا
بدَّلتم القول حتى قول خالقِنا
لقَدْ أتيتُم لعمرُ الله بُهانا
وإنْ دَعَوتم لَحَنْتم في دُعائكُمُ
فكيفَ تَسْتوهبُون الدَّهْرَ غُفرانا
ربُّ العباد غنيٌّ عنْ دُعائكم
ونحنُ أيضا عن التأمين أغنانا
ثم يسوق بعد هذا نوادر ركبها مما كان يسمع في كلام المتحاكمين في مجلس القاضي ابن عذرة قاضي الجزيرة الخضراء ، ومدارها على الاختلاف بينه وبين القاضي المذكور في الحكم بين المتقاضين بسبب الإمالة الواقعة في كلامهم ؛ إذ كان الملزوزي يأخذ بظاهر اللفظ فيحكم بناء عليه، ويرده ابن عذرة العارف بكلام أهل بلده إلى الصواب ، فهذا متداع يتوجه إلى القاضي قائلا :

لي عند هذا يا بن عذرة ميل
والميل ميلي ساقه الحَميل

وهذا آخر يقول :

ألاَ قُلْ لابن عُذرة يا فقيها
حَمَى أحكامَهُ وحَوَى العُلوما
فُديتَ أصَابَ لي هذا حَميما
فخَلَّفه صريعا لَنْ يقُوما

ومهما يكن ما في هذه النصوص الواردة في هذه المقامة من عناصر الهزل فإنها ذات دلالات واضحة في طبيعة الإمالة في الأندلس .

وقد ظلت هذه الظاهرة من السمات المميزة للأندلسيين المهاجرين – بعد الجلاء – إلى المغرب . جاء في

ترجمة سيدي فرج الأندلسي المكناسي الدار (القرن العاشر) من كتاب دوحة الناشر(٥٦-٦٠) أنه كانت " تغلب عليه الإمالة، شأن كلام الأندلس في ألسنتهم "، وما لاحظه ابن عبد الملك وابن الخطيب وابن عسكر تؤيده النصوص ، ففي أمثال الزجالي وأمثال ابن عاصم نجد هذه الإمالة المفرطة التي تصبح فيها الألف ياء، وفيما يلي أمثلة منها في أمثال الزجالي مع الإشارة إلى صفحات النص : رسميل =رسمال(ص١٥) تريه = تراه (ص ٢٤) جي = جا(ص ١٥٤) حين = حان (ص ١٨٣) سينية = سانية (ص٣٥٠) ومما ورد من ذلك فى أمثال ابن عاصم مع الإشارة إلى أرقام الأمثال : بيب = باب(رقم ٦٤٠) قزيز = قزّاز (رقم ٧٥٧) المكين = المكان (رقم ٥٥٣) فدين = فدان (رقم ٥٤٥) كينت = كانت (رقم ١٩٧) القيدوم = القادوم (رقم٧٦٢).

كما أن معاجم اللهجة الأندلسية والوثائق المدونة بها تبين بوضوح مدى انتشار الإمالة في العامية الأندلسية ، ولا سيما معجم بطرس القلعي حيث الكلمات تكتب بحروف لاتينية[1] ويكفي أن نشير هنا إلى أن عدداً كبيرًا من أسماء الأماكن وغيرها تكتب في اللغة الإسبانية بصورة الإمالة ، فمن ذلك : باجة Beja جيان Jaen دانية Denia لاردة lerid بجانة pechina ومن الكلمات العربية المنتقلة إلى الإسبانية بصيغة الإمالة نذكر : السانية aceña والساقية acequia [2]

- لا وجود لهمزة المضارعة في العامية الأندلسية، فهم يستعملون النون

(١) مثل bib, mil, nic أي باب ، مال ، ناس انظر : ALC،٢٦٦،٢٧٢،٣٥٩ وانظر أيضًا مبحث الإمالة عند STEIGER ص ٦٢ و ص ٣١٤ وما بعدهما .

(٢) انظر قائمة بالألفاظ الممالة المستخرجة من Alc.Voc, عند STEIGER من ص ٣١٤إلى=

للمتكلم المفرد كما تستعمل للمتكلم ومعه غيره مع التفريق بينهما بزيادة الواو في الحالة الأخيرة ، وقد ورد هذا الاستعمال كثيرا في الأمثال والأزجال، وفيما يلي أمثلة منه في أمثال الزجالي مع الإشارة إلى صفحات النص : نخذ = نأخذ = آخذ (ص ١٩) نصوب = أصوب (ص٢٢) أنا نعلم = أنا أعلمه (ص٢٧) أنا نبخرها = أنا أبخرها (ص٢٧) أنا نرش =أنا أرش (ص٢٧) أنا نطلقها = أنا أطلقها (ص ٢٧) أنا نسميه = أنا أسميه (ص ٢٨)

ونكون أنا = وأكون أنا (ص ٢٣٠)

أما في حالة المتكلم ومعه غيره فيلحق بآخره واو الجماعة للتمييز بينهما كما في المثل التالي :

نَحن نَقْرَوْا ولس نَفْلاَحُ كَيْفَ لَوْ غَنّينَ (رقم ١٥٥١)

ونجد هذا الاستعمال العامي يتسرب أحيانًا إلى أقلام بعض المؤلفين الأندلسيين، كما نرى في كتاب التبيان للأمير عبد الله بن بلقين ، ومن أمثلة ذلك فيه:"وكنت مع هذا نأمر أهلها بالرفق"(ص ٨٩)"ولو أني نأمن مكره لأعلمته بالحال " (ص١١٥) " فراجعته

= ص ٣٣٢ويفهم مما ذكره صاحبه طرفة الظريف ودوحة الناشر أن الإمالة لم تكن معروفة في لهجات أهل المغرب أو في معظمها، ولكن اليوسي لاحظ مظهرا من مظاهر الإمالة في شمال المغرب عند أهل جبال الزبيب وجبل العلم فذكر أن أهل هذه الجبال يكسرون الفتحة بعدها ألف، قال : "من جملة ما اتفق لي في هذه السفرة إلى جبال الزبيب وسفرات أخرى لزيارة الشيخ عبد السلام رضي الله عنه أني سمعت لغة لأهل تلك الجبال : يكسرون آخر الموقوف عليه فتتبعتها استقراء فوجدتها لها ضابط، وقد رأيت غيرهم من أهل الآفاق يسمعون عنهم ذلك فيحكونه على غير وجه وينسبون إليهم ما لا يقولون جهلا منهم بضوابطه، فإنهم لا يكسرون إلا الفتحة بعدها ألف: أما ألف المقصورة كالدنيا أو الممدودة كالسماء والطلباء والشرفاء أو الأصلية كالماء أو المقلوبة عن هاء التأنيث في مجرى الوقف كالبقرة والشجرةوالصحفة فإن العوام من غيرهم يقولون في الوقف على هذه البقرا والشجرا بألف وهؤلاء يكسرون فيقولون : البقري والشجري وتنقلب الألف ياء " .

نعلمه بحاجتي إلى ثمنه" (١٦١) .

وما يزال هذا الاستعمال موجودا في اللهجات المغربية عمومًا، وهو مما يميزها عن لهجات المشرق[١]، ويوجد هذا الاستعمال في لهجة السودان ، وهو من تأثير لهجات المغرب[٢] وهو موجود أيضا في الإسكندرية .

-حرف الجر: في: يرد في الغالب متصلا بالمجرور بعد حذف حرف الياء منه وفتح الفاء، مثال ذلك المثل :

رِجْل فَالجَبَلْ أخيَر مِنْ رِجْلْ فَالكَبَل . (رقم ٩٨١)

أي رِجْل في الجبل خير من رِجلى في الكبل، وهذا كثير في الأمثال والأزجال .

- تتميز العامية الأندلسية - ومثلها العامية المغربية - بزيادة كاف في أول الفعل المضارع، فيقال في: يكتب، مثلا : كيكتب ، ومثال ذلك في الأمثال.

حَقّ لِسْ نُعْطَى ، عِيَار القَفَّ كنطلب (رقم ٨١١)

لَوْ أردْنَ مَنْ ذا الحَشِيشْ، كنَّملُوا قُفَّ وَبَلِيَّشْ (رقم ١٢٣٥)

سَمعَتْ بِنْت السُّلْطَان السَّاعي يَسْعَى ، قَالَتْ : كِتَّعْمَلْ شَبَاتْ بِشَحَمْ .

(رقم ١٨٤٥ م)

أرْنَبْ تَكُل لَحَم؟ قَالْ : ياعَلَى بجَلْدي كِنَّخلصْ (ابن عاصم رقم ٢٦٧)

وهذه الكاف (أو التاء أحيانا) مطردة في العامية المغربية مثل الباء والحاء اللتين تزادان في أول المضارع في العامية المصرية. أما في العامية الأندلسية لقد لاحظنا أنها غير مطردة، ولكنها ترد أحيانًا كما نرى فى الأمثال والأزجال ، وقد تنبه لهذه الكاف صفي الدين الحلي فى الفصل الذى عقده لبعض قواعد الاستعمال فى الأزجال الأندلسية من كتابه العاطل الحالى

(١) انظر الجمانة في إزالة الرطانة :٣٠ ، ٣١ ، ٤٠ .

(٢) عبد المجيد عابدين: من أصول اللهجات العربية في السودان : ٧٤ .

فقال:" ومنها إقامة الحرف الواحد مقام كلمة فيقيمون الكاف مقام كان التي ترفع الاسم وتنصب الخبر[1] " قال : "والأمثلة في ذلك كثيرة : ثم ساق في ذلك أمثلة عديدة ، ومما مثل به قول مدغليس :

وكِنَّحْلَف أنْ لا نَعْشَقْ أبَدا .

قال : يريد " وكنا نحلف " ولكن هذا التأويل الذي ذهب إليه الصفي الحلي يجعل وظيفة هذه الكاف هي الدلالة على عمل الفعل في الزمن الماضي، فى حين أن وظيفتها في الاستعمال المغربي هي تخليص المضارع للدلالة على الحال فقط، والذي نراه من الأمثلة السابقة أنها تدل على الحال لا على الماضي ، وفي معجم الراهب رمند مرتين نراه يرسم هذه الكاف منفصلة في أثناء تصاريف الأفعال إشارة إلى أنها تدخل عليها ، ومهما يكن فإن هذه الكاف الشائعة في عامية المغرب لها أصل قديم في العامية الأندلسية .

– ذكر الزبيدي أن عامة الأندلس يقولون فيما كان من الأفعال الثلاثية المعتلة العين مما لم يُسمَّ فاعله، بإلحاق الألف ويبنونه على أفعل نحو، أبيع الثوب ، وأقيم على الرجل ، وأخيف ، وأدير به، وأسير به. والصواب في هذا إسقاط الألف فتقول: بيع الثوب وخيف الرجل ، وديـر به ، وقيم عليه، وسير به[2] "وقد وجدنا أمثلة من هذا الذي ذكره الزبيدي في أمثالهم ، ومن ذلك قولهم: فُضُولْ سَوْدَ فى جَنِيزَ ، مَشَتْ تِعَزّي أبِيعت في الأكْفَان (رقم١٧٤٣) والشاهد فيه: أبيعت في الأكفان أي بيعت. وقد كثر في الأمثال استعمال : أقيل ، في موضع قيل،

(١) العاطل الحالي : ٤٧ .

(٢) لحن العوام : ٢٠٤. تحقيق د . رمضان عبد التواب، وكتاب لحن العامة : ١٠٩ تأليف د.عبد العزيز مطر .

ومنه المثل .

إذا أقِلّكْ حِمارْ ، استَخِير الله وانْـهَقْ .

(رقم ٣٤) وأصلها : إذا أقيل لـك أي إذا قيل لك.. وكذلك في المثـل: أقـل لجحا: لس تجلس قدام الفرن..(رقم ٢) فهي في هذا المثل ونحوه : أقيـل أي قيل بزيـادة الألـف التـي ذكرهـا الزبيدي[1].

ويفهـم مـن هـذا أن المبنـي للمجهول من الثلاثي كان مستعملا فـي العامية الأندلسية، وذلك ما نجـد لـه أمثلة أخرى فـي الأمثـال كقولـهم : البَـالي يَيْبَـعْ، والجَديـدْ يُرفَـعْ .

(رقم ١٥٤)

العروسَ في الكُرسِي ، ولس يُدْرا لِمْن هِي. (رقم ٢١٠)

لِسْ يُعَلَّم اليتيم البكا (رقم ١١٧٣)

لِس يُعْمَل مِنْ فُولة ان وَجِدَ ترخص .

(رقم ١٢١١)

قدرة الزِّفْت مَا يُطْبَخ فيها مُعَسَّلْ .

(رقم ١٨٢٢)

أما في عاميـة المشـرق فيبـدو أن المبني للمجهول فقد منها منـذ زمـن قديم وحل محله صيغة " انفعل " جـاء في "سهم الألحاظ في وهم الألفـاظ " لابن الجنبلي :" ومن ذلـك قولـهم : انحفظ وانقرأ وانكتب، ففـي ديباجـة كتاب الانفعال للإمـام الصاغـاني أن انحفظ وانقـرأ وانكتـب مسـتحدث استحدثه المولدون[2] .

- تسوى العامية الأندلسيـة في فعـل الأمر بين المذكر والمؤنث ، ومـن الأمثلة علـى ذلـك فـي أمثـال الأندلسيين:

- عزيزَ : قُمْ رَحَّلْ ، قالت : اصْـبَرْ نخُذْ نحْي مـن الحَيـط ! (رقـم ١٦٣٨)

- من الظواهر الصوتية في العاميـة الأندلسية إطالة الحركـات حتـى تصير الفتحـة ألفًا والضمـة واوًا

---

(١) انظر الأمثال رقم ٦٣ و٦٥ و٧٣ و٧٤ و٧٥ و٧٦ .

(٢) نقلا عن كتاب : لحن العامة والتطور اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب ص ٢٩٩ .

والكسرة ياء ، وقد نص الزبيدي على هذا في كتابه لحن العوام وساق أمثلة عديدة منها : قادوم وقطاع في قادوم وقطع ، وعوش في عش ، وطيراز وتيلاد وثيمار في طراز وتلاد وثمار، ويقول الزبيدي : " وقد أولعت العامة بإقحام الياء[1] " كما أن ابن حزم أشار إلى هذا في فقرته المقتضبة في العامية الأندلسية التي ذكرناها فيما سيق . ونحن نجد هذه الظاهرة في لغة الأمثال ، وفيما يلي أمثلة منها مع الإشارة إلى صفحات النص :

بساط = بسطه (ص ٩٠) وساط= وسطه (ص٩٠)

في أصباعك =في أصبعك (ص٩٤)

يحضار= يحضر (ص١١٥) نعلش = نعش (ص١٢٠)مغراف= مغرف (ص١٣٣) مايلباس = ما يلبسون (ص١٤٧) نعمال = نعمل (ص١٥٢)

رجاع = رجعوا (ص١٩٠=١٩١) لا يمور= لايمر (ص ١٤٥) ماعك - معك (ص٢٤٥،٢٦٢) ماع = معه (ص٢٥٤، ٢٧٠،٢٧٦) قطاع = قطع (ص٦٩، ٧٠،٢٤٤،٣٣٨) وقد لاحظ صفي الدين الحلي أيضًا في دراسته الأزجال" إشباع الحركات الثلاث حتى ينشأ عنها حرف يناسبها" وأتى بأمثلة عديدة من الأزجال الأندلسية [2] وذكر السكوني أنهم كانوا يقولون في التكبير:

الله أكبار : بزيادة ألف بعد الباء، قال: وذلك لا يجوز، لأنه جمع كبر ، وهو طبل صغير .

-حافظت العامية الأندلسية على الحروف اللثوية أو حروف ما بين الأسنان interdentales وهي الثاء والذال والظاء وفي كل من أمثال

(١) لحن العوام : ٧٦ ، وانظر د . عبد العزيز مطر ، لحن العامة ... : ١٠٧ – ١٠٨ .

(٢) العاطل الحالي : ٣٩ وما بعدها . وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لا وجود لإطالة الحركات في العامية المغربية إلا في كلمة أو كلمتين هما : علام = علم ، سلوم = سلم . انظر مقالة للأستاذ كولان في مجلة " هسبيريس " ١٩٣٠ ص ١٠٦-١٠٧.

الزجالي القرطبية وأمثال ابن عاصم الغرناطية أبواب للأمثال المبدوءة بهذه الحروف .

-حافظت العامية الأندلسية على فصاحة بعض الأبنية والصيغ ، ومن أمثلة ذلك المحافظة على كسر عين اسم الفاعل في مثل:
زايد، ناقِصْ ، جالِسْ ، واقِفْ ...إلخ .

في حين أن الفتح هو الشائع – منذ أيام الموحدين – في العامية المغربية ما خلا لهجة جبالة[1]

-حافظت على الهمزة من صيغة "أفعل " في مثل :
أفْقَرْ من ... إلخ[2]
وفي مثل :
أبيض ، أحمر ، أزرق[3] ...إلخ .
في حين أن الهمزة في مثل ما ذكرنا لا وجود لها في النطق المغربي الحالي .

-يشيع في النطق الأندلسي تحريك العين الساكنة فى صيغ فَعْل فِعْل فُعْل مثل[4]:
ظَهَر ، رِجَلْ ، قُفَلْ . في العامية الأندلسية صور من الحذف والترخيم في أواخر الكلم ، فكلمة (أين) تنطق وترسم(أى) بحذف النون، ومثال ذلك:
أيْ هي رُكبْتها ، ثَمَّ ، هِي ثقبَتْهَا . (رقم١٢٢) أي هُو عيْنَكْ ، ثم هُو يد غيرَكْ (رقم ٢٧٠)
يَا تُرى يَاكَبْشِي ، أي تَرْعَى أو أيْ

---

(١) نجد هذا الفرق وغيره في ضبط أمثال الزجالي من نسخ "ريّ الاوام" فالضبط في النسخة القديمة التي نرمز لها بحرف (م) حسب النطق الأندلسي، أما في النسختين المحدثتين: س، ع فهو جار على النطق المغربي ، وكذلك الشأن فيما وقفنا عليه من نسخ " الحدائق " لابن عاصم الغرناطي . .

(٢) انظر ما يتمثل به العوام على أفعل من ... في القسم الثاني من ص ١٠٨إلى ص ١١٨.

(٣) انظر القسم الثاني : ١٢٠-١٢١ وكذلك جدول STEIGER: ٩٨-٩٩ .

(٤) على هذا ضبط النسخة التي نرمز لها بحرف(م)، وانظر أيضا جدول STEIGER: ٨٩ -٩٠

تَمْشِي؟ (رقم ٢١١٥)

ويكثر حذف النون هذه في المثنى خصوصًا في صيغ الأمثال، كما رواها ابن عاصم، ومن ذلك مايلي :

نَكُونُوا نَفْسَيْ، نَسِيرُ صَفَّيْ . (رقم ٦٦٧)

خُبْز المَقِيت : مرَّتَيْ يُكَل. (رقم ٣٨٩)

نفسي فَالقاربْ، قَال: مَنْ سَرَق القيدوم (رقم ٧٦٢)

نَفْسَي عَلَى الحاجَ : صاحبِ المَتَاعْ . (رقم٧٦٣)

مَنْ اشْتَغَل بوتَدَيْ : واحِد يسع في سَوَّةُ. (رقم ٦٩٨)

الفُولْ إذا نَوَّرْ ، شَهْرَيْ يدَوَّرْ . (رقم٢٠٤)

فقد حذفت نون المثنى في هذه الأمثال في كل من : نفسين ، صفين ، مرتين ، نفسين ، نفسين، بوتدين ، شهرين[1]. ويبدو أنهم كانوا يجرون هذا الحذف في الأسماء المختومة بياء ونون حتى ولولم تكن للتثنية ، فقد ذكر مؤلف الجمانة في إزالة الرطانة أنهم يقولون : النسرى أي النسرين، والجني أي الجنين[2] ، ومن صور هذا الترخيم قولهم في متاع: متا . وفي قدر: قد ، وهذا كثير في الأمثال كقولهم :

كَمْ تَكُل؟قَالْ : مِنْ مَتَى مَنْ؟ (رقم١١٢٦)

أي من متاع من ، وقولهم :

شَبَرْ وعَقَدْ مِنْ قَدْ مَتَى كُل أحَدْ (رقم١٨٩٣)

أي من قدر متاع كل أحد.ومن أمثلة ذلك أيضا في أمثال ابن عاصم قولهم:

---

(١) نجد ظاهرة حذف نون المثنى بدون إضافة نحو مائتي بدلاً من مائتين وبيتى بدلاً من بيتين في نصوص العامية المصرية القديمة كما تشهد بذلك وثائق البردى ولعل الأصل في ذلك كله تلك اللهجة العربية القديمة التي يشار إليها في بعض كتب النحو ، ومن أمثلتها المثل: بيضك ثنتا وبيضى مائتا . وقول الشاعر :

هما خطتا : إما أسار ومنة وإما دم والقتل بالحر أجود

(٢) الجمانة : ٣٢ ، ٣٤ .

أشْ يَرَى الأحْدَب حَدبةُ إلى متا غيرُ. (رقم١٠٣).

ارحمَنْي وارْحَم جَارتي متَا السَّاحِلْ . (رقم٢٥٧)

كَلاَمَ الحَبِيبْ يبَكّي ومَتى العَدو يضَحَّكْ. (رقم ٦٠٠)

ومن ذلك قولهم في الساعة : السا ، كقول ابن قزمان :

تَعْرفْ اسْمَاها لاسَّا يقُل لَكْ لاَ .

فقوله: السا ، يريد الساعة .

قال الصفي الحلي :" وقد تداولوا هذه اللفظة كثيرًا في أزجالهم[1] ". ويبدو أن مثل هذا الترخيم كان شائعا عندهم فإننا نجد ابن قزمان أيضا يقول في عازب : عازي ، وذلك قوله في مطلع أحد أزجاله : (زجل ٢١) :

صرت عَازي وكَانْ لعَمْرى صواب
لِسْ نَزَوَّجْ حتَّى يشيب الغراب

ومن ذلك أيضًا ما ذكره الزبيدي من أنهم يقولون للجلد الذي يبسط للطعام وغيره: " نطا" يريدون:"نطع" =[2] وقد يكون الحذف في وسط الكلمة كقولهم: تدأي تريد[3] ، و"تيدك " أي تريدك ، كما في المثل :

العُوَيْنِيتَ الذي تيدَك : مِنْ بَعِيد تضْحَك لَكْ .(ابن عاصم رقم ١٩٦)

أي العيون التي تريدك تضحك لك من بعيد وأبرز صور هذا الحذف ما ذكره ابن حزم من أنهم كانوا يقولون في ثلاثة دنانير: ثلثدا[4]

ومن هذا القبيل قولهم في الاستفهام أو النفي: أش . وأصلها: أي شيء كما

(١) العاطل الحالي : ٥٠ -٥١. وتجدر الإشارة إلى أن أهل مالطة لا ينطقون بالعين إذا وقعت في آخر الكلمة ، مثل تلا = طلع ، وقلا = قلع . انظر : الورقات للأستاذ ح.ح. عبد الوهاب ج٣ ص ١٢٧.

(٢) لحن العوام : ٢٤.

(٣) الأمثال أرقام ٣٤٥ ، ٣٤٦ ،٣٤٧ عند ابن عاصم .

(٤) الأحكام ١ : ٣٢.

في هذا المثل :

أشْ فَالكُفر من لذَة .

أي ماذا في الكفر .. أو ليس في الكفر ..، وهي ترد خالصة للنفي في كثير من الأمثال التي رواها ابن عاصم ، وتتصل أش بغيرها كما في المثل : اشْما لاَ يُدْرا ؟ قال: مَالاَ يُضْمَرْ . (رقم ٧١) فأشما: أي شيء ما[1] وكقولهم في السؤال مطلقا أو في السؤال عن العدد أو المسافة : أشحل وأشحال . وأصلها: أي شيء حال . ومن أمثلة استعمالها في الأمثال قولهم:

أشْحَل بَيْنِي وبَيْن السما ؟ (رقم ٩٣)

فهي هنا بمعنى كم، وفي العامية المغربية يقال في السؤال عن الثمن : بشحال أي بكم ، وأصلها : بأي شيء حال ... [2]ونجد أش هذه متصلة بأفعال وأسماء كقولهم:

أشْتَعْمَل الكَيْسُ فالبَيْت الفارغْ (رقم٢١٢)

فأشتعمل : ما تعمل ، وقد ورد هذا المثل معربا في رسالة الشقندي كما يلي : " وهب أنه كان يكون لكم مثله، فما تصنع الكيسة في البيت الفارغ[3]"

ومن أمثلة ذلك أيضا : أشترقع = ماترقع أو ماذا ترقع؟ (ص ٥٨ في النص) وأشيقل = ماذا يقال له؟ (ص ٥٩) وأشجلاس = ما جلوسه؟ (ص٢٨٨) وأشكندخلن = من أدخلني؟ (ص٤٣) . ومثل أش : عاش أو علش = على أي شيء؟ (ص١٥، ٣١٤)وهي تستعمل بمعنى لماذا، وبش= بأي شيء؟ (ص٣١٥،٣٨٣) وقد وردت في Voc وضع بماذا ولكى ولش = لأي شيء أي لماذا (ص٣١٥) وهذه الأخيرة مستعملة في معظم اللهجات العامية العربية منذ

---

(١) انظر استعمالها أيضًا فى المثلين رقم ١٥٥ ، ورقم ١٧٣ .

(٢) انظر استعمالها أيضا في المثلين رقم ١٥٧، ورقم ٢٣٥.

(٣) نفح الطيب ٤ : ١٨٢ .

زمن بعيد .

-ذكر الزبيدي أمثلة عديدة مما كان يقع على لسان العامة في الأندلس من قلب وإبدال بين الحروف ، وبلغ ما عدده في مواضع متفرقة من حالات القلب والإبدال نحو خمس عشرة حالة[1] وقد وجدنا بعض هذه الحالات في الأمثال ، فمن ذلك إبدالهم النون ميما في مثل قولهم: حلزوم أي حلزون [2] ، وقد ورد هذا في المثل التالي :

حَلزومْ لِسْ معها أيْ تَدورْ ، تَرْبَطْ فِي ذَنَبْهَا تورْ . (رقم ٨٠٧)

وإبدال التاء طاء كما في كلمة است التي نراها ترسم اسط في أمثال عديدة. وقد نقل ابن عبد الملك المراكشي أن أهل شرق الأندلس كانوا ينطقون التاء طاء فيقولون في حوت : حوط[3]. وكذلك نجدهم يقلبون الدال طاء في بعض الكلمات كما في المثل: "شِكَارةْ حَبْلسَ : يطَلَّع فيها المُرْط للصُّمع . (رقم ١٨٩٠)

فالمرط = المرد جمع أمرد ، ومن ذلك أيضا إبدال الضاد دألا كما في يمدغ = يمضغ ، ومن هذا المثل:

حَنين أبي زُرَيْق : يَمْدغْ الحَلْوَ للصِبْيَانْ . (رقم ٨٠٦)

وهكذا تنطق الكلمة في المغرب أيضا. ومن إبدال القاف كافا والصاد سينا ما ورد فى المثل التالي :

مَنْ ماعُ كرسَعَنّ : الحَمَامْ تَتْبَاعَ" (رقم١٢٦١)

فكرسعن = قرصعنة . وهم يقولون : حك أي حق(٤) و"حكاك أي إحقاق(٥) وكفز أي قفز(٦) والكفز أي القفز(٧). ويبدو أن هذا من أثر القاف المعقودة

---

(١)انظر تصنيفًا لها في كتاب لحن العامة د. عبد العزيز مطر ص١٠٥ وما بعدها.

(٢) لحن العوام للزبيدي : ١٩٢.

(٣) الذيل والتكملة ١ : ٢٠ .

(٤) لحن العوام للزبيدي : ٦٨ .

(٥) انظر المثل رقم ٢٧٢.

(٦) المثل رقم ٣٧٣ ورقم ١١٤٨ ، ١١٥١ .

(٧) المثل رقم ١٨٠٦.

التى عُرِف بـــها الأندلســيون. وقــد وُصف أبو حيان في نفح الطيب بمـــا يلي :" عبارته فصيحة بلغة الأندلـــس يعقد حرف القاف قريبا من الكـــاف ، على أنه لا ينطق بها في القـــرآن إلا فصيحة ، وسمعته يقول :

ما في هذه البلاد (يعنى مصر) مـــن يعقد حرف القاف[1] " كما نجـــد هـــذا النص في سلوة الأنفاس :" فقال لـــهم هذا عربي قوي ، بالقاف القريبة مـــن الكاف ،كما ينطق به أهل الأندلس[2]".

وصاحب هذا النطق الموصوف هـــو العارف أبو الحسن علي صـــالح بـــن الأندلسى الغرناطي ..

-والتصغـــير مـــن ســـمات العاميـــة الأندلسية الواضحة ، ففـــي الأمثـــال والأزجال نلحظ شـــغف الأندلســـيين وولعـــهم باســـتعمال التصغـــير فـــي كلامهم، ونجد له مثالا قديمًا يرقى إلى أيام عبد الرحمن الأوسط، جاء فـــي المُغرب لابن سعيد ١ : ١٢٥: " وذكر عبد الله بن الناصر في كتاب " العليـــل والقتيل" : أن الأمير عبد الرحمن قـــال يومًا لابن الشمر على الشراب : مـــا فعلت غُفَيرتك التي كانت جرداء قـــد صارت أخياطهـــا كالعروق ؟ فقال : عملت منها لفائف لبُغَيْلك الأشـــهب " وبلغ من استحكام التصغير في لســـان أهل الأندلس أنهم يغفلون عن بعض ما يقتضيه الأدب الديني ، فقـــد انتقـــد عليهم السكوني الإشـــبيلي اســـتعمال صيغة التصغير في مواطن لا يجـــوز فيها شرعًا . قال : "ويقول قائلـــهم : هذا مُصيحِف ، ومُسيجِد، ومكيتـــب ، وجويمع وما أشبه ذلـــك بـــالتصغير ، وكل ذلك لايجوز ، لأنه تصغير لمـــا أمر الشرع بتعظيمه ، وكذلك ما كـــان من شـــعائر الله ســـبحانه . قـــال الله سبحانه : " ذلك ومن يعظم شـــعائر الله فإنـــها مـــن تقـــوى القلـــوب " .

---

(١) نفح الطيب ٣ : ٢٩٥.

(٢) سلوة الأنفاس ٢ : ٢٠٩.

وما يـــزال الميـــل إلـــى تصغـــير الكلمات سمة بارزة في اللغة الإسبانية ولهجات المغـــرب العربـــي ، وهـــم يصغرون حتـــى الأشـــياء الصغـــيرة بطبيعتها ، فيقولون في عجلة : عُجَيلَة وفي كِسرة : كُسَيرة ، كما فـــي هـــذه الأمثال : بَحَلْ فُمْ اعجَيَّلْ بالرَّغوَ علِيهْ. (رقم ٦٢٢)
لسْ فَاللُّبَيْنَ ما تَرْضَعْ العُجَيْلَة. (رقـــم ١١٧٨)
من اتَّكَل على مُرَيْقَة جَارَتُ أصْبَحَـــت كُسَيْرتُ لِراسُ – (رقم ١٢٩٠)

ونرى من هـــذه الأمثلـــة أن ثمـــة صيغتين في تصغير الثلاثـــي همـــا : فعيِّل بتشديد الياء، وفعيل الفصيحـــة، ولكن هذه الصيغة الثانية تنطق بسكون الأول وكســـر الثـــاني فـــي العاميـــة المغربية، ويبدو من معجـــم الكـــالا – وهو يمثل لهجة أهل غرناطة – أنهم كانوا ينطقون فعيل في المذكر و"فعيلة" في المؤنث على وجهـــه الفصيـــح أي بضم الأول وفتح الثاني .

ومن الكلمـــات المصغـــرة التـــي أوردها مضبوطة : خُبيزة، قُديَـــرة ، كُعيكة[1] ونجدهم يصغـــرون بعـــض الكلمات على نحو خاص فيقولون فـــي تصغير رجل وراجل:رجيجل ، بـدل : رُجَيل،ورويْجل كما في المثل التالي : ثمَّ رجُل ورُجَيْجَـــلْ ويَحُـــجْ البَيْـــتْ . (رقم٧٤٧)

ومن ذلك أيضا قولهم في تصغـــير سوق: سقيقة ، بدل سويقة ، وذهـــب دوزي إلى أن هذا النوع من التصغـير ظهر عند عامة الأندلســـيين بعـــد أن فقدوا السليقة العربية تماما ، ووقعـــوا تحت تأثير اللغة الإسبانية[2] ، وقد بنى حكمه هذا حين وجد كلمة سقيقة فـــي وثيقة غرناطية متأخرة[3].

(١) الكالا : ٣٤١ ، ٣٥٨ ، ٣٨٣ .
(٢) دوزى ، تكملة المعاجم العربية ١ : ٧٠٦.
(٣) هي الوثيقة التي نشرها كولان في المجلد الثالث من مجلة :
islamica بعنوان Sur une charte hispano-arabe de 1312

وكما تكثر صيغ التصغير في الأمثال فإنها تكثر في الأزجال أيضا كقول ابن قزمان (زجل ١٠) :

فَمِنَ التفَّاح نُهَيْدات
ومنَ الدَّرْمَكْ خُدَيداتْ
ومنَ الجَوْهَر ضُرَيْسَات
ومن السُّكَّرْ فُمَيْمَه

ونراه صغر الفم ، وهو مذكر تصغير تأنيث وكذلك فعل مدغليس إذ يقول (العاطل الحالي : ٤٦) :

وفُمَيْمَه حُلْوا حَمْرا صَغِيرَه
بضُرَيْسَات دَقّ بَيْضَ مُسْتَويه

وقد ورد التصغير في بعض الأمثال للتعظيم كما في هذين المثلين : سَلَّطَ اللَّه عَلَى الدَّابَّة دُويبة (رقم ١٨٤٩) ثمَّ رَجُلَ ورُجَيْجَلْ ويَحُجْ البَيْتْ . (رقم ٧٤٧)

وهو معنى من معانى التصغير ذكره النحاة ومثلوا له بقول لبيد :

وكلُّ أناس سوف تدخلُ بينهم
دويهية تصفرُّ منها الأناملُ

-توجد التثنية في الأمثال العامية الأندلسية ، ولكنها ترد دائما باليـاء والنون ومثال ذلك :

ضَرْ بَتَيْن فَالرَّاسْ . (رقم ١٦٢٣)
عَيْبَيْن فَالدَّرْهَم : نَاقِصْ ومَكْسُورْ .. (رقم ١٦٦٥)

أما في الضمائر فيستعمل ضمير الجمع للمثنى كما في هذه الأمثال :

"الأعمَى والأعْرَجْ مَا عَلَيْهِم حَرَجْ" . (رقم ١٥٣)
"الغازي والفَار لا تِعَلَّمهُم بَاب الدار" ابن عاصم (رقم ١٧٦)
"مَنْ بَاعْ لَحْي بلَحْيَ خَسَرْهُم جَمِيعا". (رقم ١٣٩٧)

ويستعمل الأندلسيون جمع المذكر السالم حيث تستعمل الفصحى وبعض اللهجات العامية جمع التكسير ، ومن ذلك قولهم : أضرسين أي أضراس كما في هذا المثل :

يَعْطِي الله الفُولْ لِمَن لاَ عِنْدُ أضْرَسينْ. (رقم ٢١٤٣)

وقولهم : سنين أي أسنان كما في المثل :

سَنين أنْ خش ، وقُلُـــوب انْ غِـش . (رقم ٣٥١)

ومن ذلك أيضا: أذرعين واســطين وادين ورجلين أي أذرع وأستاه وأيــدٍ وأرجل (*) .

–ومــن الأدوات المســتعملة فـــي الأمثــال الأندلسية: بَحَــل أو بحَــالْ، وهي أداة تشبيه ومعناها مثل أو شبيه، ومع أن أصلها من كلمة حال أي هيئة وشكل ، إلا أن هذا المعنى قد تنوســي فيما يبدو وأصبح ينظر إليها على أنــها أداة تشبيه لا غير تقوم مقــام الكــاف وغيرها من أدوات التشبيه الفصيحة .

–وهم يستعملون في التمني كلمة :يــا عَلَى ، بمعنى ليت . كقولهم يَا عَلَـــى مُمَيِّزْ وينفَقْ عليه : قــال : وإذا كــان مميز ينفق على روح (رقم ٢١٤٧) أرنَب تَكُل لَحْم ؟ قالْ : يَا عَلَى بجلدي كنخاصْ (رقم ٧٢)

يَا عَلى بَيَّاع الدَّقِيق يعقل (ابن عــاصم رقم ٨٢٦) .

فكلمة " يا على" في هــذه الأمثــال جميعا بمعنى ليت، وهــي واردة فــي الأزجال أيضا كما فـــي قــوَل ابــن قزمان:(العاطل الحالي : ٣٤ –٣٥) :

إنَّمَــا مذهَبِــي الطَّــلاَ
يا عَلَى منُّو بير ملاَ
كَان يكون ارْجُلى العُقَاب
ويَكُون فَمي الدَّلــو

وقوله أيضا:(الزجل في الأندلس:٩١)

يا على مزودا ملا بذهب
وخوابي ملا بدم العنب
كل من جا دخل أكل وشرب
ويكون جاري شيخا أعمى أصم

وقد استعمل " ليت "و" علــى " فــي زجل آخر إذ يقول : (زجل ٦٧) :

يَا بَيَاضْ بَيْت أم أبي ليتني كُنت أنَا أم.
يَا على فُم نُمار كنقَبَّل فيه بفم .

بل إننا نجد كلمــة " يا على " هــذه تتسلل إلى أساليبهم الفصيحة كما فــي هذه الحكاية التي رواها ابن سعيد فــي ترجمة الزاهد أبي وهب عبد الرحمن

(*) انظر الأمثال أرقام ٤٩٦،٦٠٩،٩٧٦.

العباسي إذ يقول : " وذكر الحجاري أن أبا وهب لقيه مرة غلام وغد بخارج قرطبة ، فآذاه بلسانه، ثم أراد أن يرميه بطوبة ، فجعل يبحث عنها، ويقول : يا على طوبة أضرب بها هذا الأحمق ! فوقعت عين أبي وهب على طوبة ، فقال له : هذه طوبة خذها فأبلغ بها غرضك ، فارتاع الغلام وأخذته كالرعدة [1]" .

وكلمة يا " على " تشبه من حيث التركيب " ياريت " التي تستعمل في العامية المصرية للمعنى نفسه ، وذكر المرحوم أحمد تيمور أنها محرفة عن " ياليت " [2] فهل تكون كلمة " ياعلى " الأندلسية محرفة عن "لعل " بأن أضيفت إليها " يا " ثم خففت اللام من لعل أو عل فصارت "ياعلى"؟ قد يكون ذلك خصوصا إذا لاحظنا عدم التدقيق في مواضع الترجي والتمني في الاستعمال العامي.

وقد وردت كلمة " يا على " في Voc ضمن أدوات التمني والترجي المستعملة بين الأندلسيين ، وهي كما في المعجم المذكور (ص ٦٣٩) : "عسى ، ليت ، يا على ، ياليت ، يا عسى ، يا ليت شعري " . وأمَّا " يا" وحْدهَا ، فهي ظرف رومانثى يكثر وروده في أزجال ابن قزمان ، لكننا لانكاد نجده في الأمثال، ويمكن أن يكون منه هذا المثل :

"يا على بيَّاع الدقيق يعقل" . (ابن عاصم رقم ٨٢٦) .وللأستاذ إ.غ . غومس دراسة ممتازة في " يا" الظرفية هذه عند ابن قزمان انظر :

todo ben quzmán, III ,p,431

–وأشهر ظروف الزمان في العامية الأندلسية: "ذاب" أي الآن ، وهي مستعملة كثيرًا في الأمثال والأزجال، وقد أشار إليها ابن هشام اللخمي في تقويم اللسان إذ يقول:"ويقولون جئتـه

---

(١) المغرب ١ : ٥٩

(٢) الأمثال العامية : (المثل رقم ٣٠٦٤) الطبعة الثانية .

ذاب ، والصواب : جئته الساعة أو الآن[1] وقد وردت في أمثال الزجالي وأمثال ابن عاصم بالإمالة كما في هذا المثل :

ذيبَ كن اتنبَّهت جارتي لثقَب أذنيها. (رقم ٩٦٠)

وما تزال الكلمة مستعملة في المغرب بالدال المهملة هكذا : "داب" ، وهي موجودة في اللهجة السودانية بلفظ: "دابو" يقال: "الزول دابو جه ، أي الرجل جاء الآن[2]. وهي أيضا في اللهجة المصرية :" دوب" كما في هذه العبارة : يا دوب جه ، أي جاء منذ لحظة وجيزة[3]، ولعلها انتقلت إليها من اللهجة المغربية .

- ومن ظروف الزمان المستعملة في الأمثال ظرف : " بيدم أو بيدام ، كما في المثلين التاليين :

بَيْدَمْ تتقَنَّع الحَولَ ، يَفْتَرقْ سُوق الغَزلْ (رقم ٥٦٤)

بَيْدَمْ يجي التِّرياقْ من بَيْت المَقْدسْ يَذْهَب صاحِب الوَجَعْ (رقم ٥٦٥)[4]

وما تزال مستعملة في العامية المغربية ولكن بسكون الدال وفتح الميم مع مدها هكذا : بيدما . ويبدو أن هذه الصيغ محرفة عن : بينما ، وأنهم قلبوا نونها دالاً ، ويستعملون في هذا المعنى أيضا كلمة : مندام ، وقد وردت الكلمتان في Voc ص ٤٣٧ ؛ مع : بينما ، ريثما ، خلال ما[5] كما يستعملون :" وقت أن " في موضع:" حين" كما في هذين المثلين : "وقَت انْ حَضَر الصَّيْدْ غاب السُّلُوقِي". (رقم١٩٤٩)

وَقْتَ انْ تَرْبَط القَرْع كنْبُوشَه. (رقم ١٩٧٤)

(١) نقلا عن : ألفاظ مغربية : ٢٨٦

(٢) عبد المجيد عابدين : من أصول اللهجات العربية في السودان : ١١٩.

(٣) عبد المجيد عابدين : من أصول اللهجات العربية في السودان : ١١٩.

(٤) انظر أمثلة أخرى في أمثال ابن عاصم رقم ٣١٣ وما بعده .

(٥) انظر أيضا دوزى ١: ١٣٣.

وهي ليست إلا كلمة " وقتا " بالتنوين المفتوح الذي جرت عادتهم أن يرسموه " ان " كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وقد وردت الكلمة مع أخوات لها في Voc ص ٥٤٨ هي: "متى ، إذا ، وقت ان ، حين عندما ".

طُلْ ما تَجِد أسْودْ ، لا تِسَخَّرْ أبْيَضْ (رقم ١٠٦٤)

وكما في قول ابن قزمان : (العاطل الحالي : ٦٠) :

اسقِنِي بالكاساتْ
ياخي دُون علالِي
طُولْ مَا كَاسْ في الدُنْيَا
لاَ تَسَلْ عن حَالِي

وفي Voc ص٥٤٨ :" طول ما ، ما دام " ومن الواضح أنها ليست سوى "طالما" الفصيحة أصابها التحريف .

ويستعملون في التعليل كلمة:" حرم فى " كما في قولهم :

أجوع من زامل موقف الذي هدم الحيط حرم فى تبن (رقم٤٩٠) أي هدم الحائط طمعا في التبن الموجود في بنائه، ومثال ذلك أيضا :

حُرْم فَسَاعَ تمشوا فارْبَاع . (رقم ٨٠٠)

فهي في هذين المثلين بمعنى : من أجل أو في سبيل ، وترد أيضا بمعنى: "لماذا" ، كما فى قول ابن قزمان يصف الرقيب (زجل رقم ٩):

ويفرق ما بين حبيب وحبيب
حرم بالله معيشقين ورقيب؟

أي لماذا بالله عاشقان ورقيب؟ ، ووردت الكلمة مع شبيهات لها تستعمل للاستفهام والعلية بحسب الجملة في Voc ص ٥٤٩ وهي : "لش ، عن أش، لماذا لأي شيء ، حرمه، فش، عنبتش".

-أما أسماء الإشارة فيبدو من تتبع الأمثال أنهم كانوا يستعملون : ذا للقريب كثيرا [1] وقلَّ استعمالهم لهذا ،

(١) انظر استعمال ذا في الصفحات التالية من النص : ٢٣،٢٤،١١٠،١٢٣،١٣٩، ١٥١، ١٨٦ ، ١٨٨ ٢٢٥ ،٢٣٠ ، ٢٤٦ ، ٢٩٦، ٣١٦،٣٣٧،٣٤٣.

وقد وردت في بعض الأمثال بالإمالة هكذا : هيذ أي هذا [1] ، وكما آثروا استعمال ذاك في الإشارة للقريب للاختصار فيما يبدو آثروا أيضا استعمال ذاك بدل ذلك وكذا بدل هكذا[2].

وورد استعمال " هي " اسم إشارة بمعنى هذه في المثل التالي :

مَنْ وُلِي على مَزْبَلَة بِدَ جَاجَة يَتَعَشَّى هي الليلَة (رقم ١٣٠٣)

أي هذه الليلة ، وقد ذكر كل من الزبيدي في لحن العوام وابن هشام في تقويم اللسان أنهم كانوا يستعملون هو وهي في مواضع الإشارة ، جاء في لحن العوام : " ويقولون : أتيت هي الأيام وقعدت في هو المكان ، والصواب أتيت تلك الأيام ، وقعدت في ذلك المكان ، وليست هذه المواضع من مواضع هو ولا هي" [3]

وفي تقويم اللسان : "ويقولون قعدت في هو المكان ، والصواب في ذلك المكان [4] –ويبدو أن هذا من تأثير أو بقايا العربية الجنوبية ، ففي كتاب "المختصر في علم العربية الجنوبية القديمة أن هذه اللغة تستعمل هو في الإشارة إلى المذكر و " هي " في الإشارة إلى المؤنث [5] ".

ويستعملون في الإشارة أيضا كلمة: " تراه " أو " تريه " بالإمالة كما جاءت في المثل التالي :

أيْن اذنَكْ أبُو فُلان ؟ قال : تَريه هنَا في ذَا المكَان. (رقم ٨٤) فكلمة : تريه أي تراه معناها في المثل: ها هي، وجاء في Voc ص ٣٦٠ ما يلي :ها هُو، تراه أما في الإشارة للجمع فتستعمل : " هَوْلَ " أي هؤلاء كما

(١) انظر ص ٣٦١ من النص .

(٢) انظر ص ١٨٩ ، ٢٥٥ .

(٣) لحن العوام للزبيدي : ٢٥٢ وألفاظ مغربية للدكتور عبد العزيز الأهواني : ٣٢٠.

(٤) نقلا عن ألفاظ مغربية ٣١٩.

(٥) المختصر : ٥.

في Voc ص ٤٤٤ ومثالها قول مدغليس :

لسْ لَنا إلاّ نخَلّي الفُضُولْ
أشْ نَرى مَنّو لهَوْل العَاشِقِينْ

يريد بقوله :" لهَوْلَ " " لهؤلاء[١] " .

-وأما بالنسبة لاسم الموصول فيبدو من الأمثال أن العامية الأندلسية احتفظت بالذي ولم تغيره إلى " اللي كما أصبح الحال فيما بعد في معظم اللهجات العربية، إلا أننا نراهم يستعملون "الذي" للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع ، فمن استعمال "الذي" للمفرد المؤنث بدل "التي " قولهم:

أعْجَزمن كَلبْتَ بَني سَعيدة:الذي مَاتَت بالعْطَشْ وذنبها فَالماء (رقم٤٩٥).

ومن استعمالها في حالة الجمع قولهم (ابن عاصم رقم ١٩٦) :

العُويْنيت الذي تيدّك : مِنْ بَعيدْ تضْحكْ لَك [٢] .

وورد استعمال (اللى) فى زجل لابن قزمان إذ يقول :

سُبْحن اللّي جَمَع عَلَى قَلبَك
كُل شَيء حَسَنْ[٣]

يريد سبحان الذي، وأما في الأمثال فلم نقف على استعمال " اللي " بمعنى الذي.

وصف ابن سعيد كلام أهل الأندلس بأنه منحرف عن أوضاع العربية الفصحى، وأنه مجانب للإعراب، بل ذكر أن الأندلسيين كانوا يستبردون من يعرب ويستثقلون من يتفصح، ولا شك أن ابن سعيد وصف ما سمع من لغة أهل عصره في أمصار الأندلس التي عاش فيها ولا سيما إشبيلية، وقد لا يختلف وصفه عن وصف من تقدمه .

أما ابن الخطيب فقد ذكر في وصفه لكلام أهل غرناطة أنه كان يتخلله إعراب كثير ، ولعل في هذا ما قد

---

(١) العاطل الحالي : ٥٢.

(٢) انظر استعمال الذي في النص ص: ٩٨، ٩٩، ١٠٠، وابن عاصم رقم :٢ ورقم٣ و١٦ .

(٣) العاطل الحالي : ٥٠.

يخالف – من الوجهة النظرية – قانون التطور اللغوي إلا أن يكون الأمر يتعلق بوصف مستويات لغوية مختلفة.

ومهما يكن من أمر فلو بحثنا عن مظاهر الإعراب في نصوص الأمثال الأندلسية سواء منها التي دونها الزجالي أو التي جمعها ابن عاصم لوجدنا أنها تقع ولكن بقلة ويمكن الوقوف عليها في القسم الثاني من الكتاب .

–سبق أن أشرنا إلى شيء من أثر "عجمية أهل الأندلس " في مفردات الأمثال ، وثمة تأثير ملحوظ – ولكنه قليل – لهذه العجمية في تراكيب الأمثال، وتستطيع أن تلمح شيئًا من ذلك في الأمثال التالية على سبيل المثال :

غبار الغنم كحول هو لعين السبع .
(رقم ١٧٢٢)

من لدغت الحي ، من الحبل ينفر .
(رقم ١٤٢٢)

من مات ولد، ربيب يجيه لليل .
(رقم ١٤٧٤)

في عافية كان الزجاج قبل أن يشتري القط (رقم ١٧٤٤)

ونتبين أثر التركيب العجمي في المثل الأول من خلال نظيره القشتالي القديم:

EL Polvo de La oveja, Alcohol es Para el Lobo

والشاهد عندنا في تركيب : كحول هو = Alcohol es

وكوننا نعتبر الصيغة القشتالية ترجمة للصيغة العربية لا يمنعنا من اعتبار المطابقة التامة في الترجمة دليلاً على ما نرى، وفي صيغة المثل العربي القديم :

غبار الغنم : كحل عين الذئب .

دليل آخر. كما أن تقديم المتعلق في المثل الثاني وتقديم الفاعل في المثل الثالث وتقديم الخبر في المثل الرابع لا يخلو من رائحة الأثر العجمي فيما نفترض، وإن كنا نعرف وقوع مثل هذا أيضا في أساليب العربية الفصحى ولعل مقارنة التركيب في الأمثال المذكورة بالتركيب في نظائرها

المغربية والمشرقية تصلح دليلا على هذا الافتراض. ومع ذلك فالأثر العجمي أو" الرومانثي " في ألفاظ الأمثال وتراكيبها قليل بالنسبة إلى الأثر الرومانثي في الأزجال .

(ب) ملْعبة الكفيف الزرهوني (ق٨) وقيمتها اللغوية

يرى المستعرب الفرنسي الأستاذ كولان أن جميع الأزجال المغربية التى ترجع إلى ما قبل العصر السعدي قد نظمت باللهجة الأندلسية التي كانت بفضل أزجال ابن قزمان وغيره لغة الزجل "الكلاسيكية" ويبدو أنه استند في إطلاق هذا الحكم على نماذج الأزجال المغربية التي أوردها ابن خلدون في المقدمة ، ومنها نموذج ملعبة الكفيف، ومع تضلّع الأستاذ كولان في اللهجات، وتمرسه بقراءتها ودراستها ، فإن حكمه المذكور يظل قابلا للنقاش ، فإذا كنا نعرف الكثير عن اللهجة الأندلسية بفضل وفرة نصوصها ، فإننا لا نعرف طبيعة العامية المغربية القديمة ، ولا مبلغ الفرق بينها وبين عاميّة الأندلس وهو فرق سجله ابن خلدون عقب سرده أزجال الأندلسيين والمغاربة، فقال : "واعلم أن الذوق في معرفة البلاغة منها (أى من الأزجال) كلها إنما يحصل لمن خالط تلك اللغة، وكثر استعماله لها، ومخاطبته بين أجيالها، حتى يحصّل ملكتها كما قلناه في اللغة العربية، فلا يشعر الأندلسىّ بالبلاغة التى فى شعر أهل المغرب، ولا المغربى بالبلاغة التى فى شعر أهل الأندلس والمشرق، ولا المشرقى بالبلاغة التى فى شعر أهل الأندلس والمغرب؛ لأن اللّسان الحضري وتراكيبه مختلفة فيهم، وكل واحد منهم، مُدرك بلاغة لغته وذائق محاسن الشعر من أهل بلدته[1] " وهذا الذي يقولُه ابن خلدون لا ينفي طبعًا مستوى الفهم، فقد كانت أزجال ابن قزمان مقروءة في العراق والشام ومصر[2] ، وكانت مزدوجات ابن شجاع التازي معاصر الكفيف الزرهوني مروية في الأندلس إلى جانب أزجال.مدغليس وابن قزمان والدبّاغ المالقي[3]

(١) المقدمة : ١٤٧٤ – ١٤٧٥ . (٢) الزجل في الأندلس للدكتور الأهواني .

(٣) انظر أزهار الرياض ١: ١٢٣ ووصف أفريقيا ٢ : ٦٤.

ومهما يكن الأمر فإن ملعبة الكفيف تستعمل فعلاً لغة الزجل الأندلسي ، وتشتمل على ألفاظ معروفة في هذه اللغة، ولعلها كانت من الألفاظ المشتركة بين عامية الأندلس وعامية المغرب ، فقد ذكر بعضها ابن هشام اللغوي الإشبيلي السبتي في كتابه لحن العامة(*)، وهذه طائفة منها :

ـ بلج أي أغلق الباب بالبلج أي المِغلاق.انظر رقم ١٩٤وقد وردت في لحن العامة لابن هشام وفيALC ص٩٧ و.Voc ص٤٠،٥٢١ سيمونيت ص ٤٣٨ ودوزي ٤٣٨ويقال البلاج- وجمعه بلاجة أو بَلاجين – لصاحب هذه الحرفة،وسوق البلاجين في فاس معروف إلى اليوم بهذا الاسم . انظر بيوتات فاس: ٢٤ دار المنصور ، وسمعت أن الكلمة مسموعة في منطقة الشاعر .

ـ ساف ، وهو الباشق. انظر رقم ٩٧ ولحن العامة لابن هشام ، ودوزي ١ :٧٠٣ وما تزال الكلمة مسموعة في بعض المناطق بالمغرب .

ـ شابل، اسم سمك معروف إلى اليوم في المغرب يصطاد من الأنهار. انظر رقم ٤٠٨ وابن هشام ، والزجالي ٢ :١٤٠ ، ٤٣٧ .

ـ شاشية، وهي القلنسوة. انظر رقم ٢٢٥ وابن هشام وVoc ص١٢٢وص ٢٨٠و ALC ص ١١٧ وص١٤٣ ودوزى ١ : ٨٠٢، وهى شائعة فى المغرب .

ـ عاد بمعنى بعد. انظر رقم ١٧٠ وقد ذكرها الزبيدى وابن هشام ووردت فى ALCو Voc ودوزي ٢: ١٨٦ وماتزال مستعملة في المغرب . ووردت مراراً في أزجال ابن قزمان.

ـ فدان للموضع الذي يحرث أي الحقل، (رقم ٤٥٦) وهي عند ابن هشام والزبيدي ، واستعملها ابن قزمان بهذا المعنى. وانظر دوزي٢:٢٤٦ .

-قيطون بمعنى خيمة استعملها هذا المعنى ابن قزمان، وهي معروفة في المغرب . انظر رقم ٣٤٣ .

ـ عصا موسى، وهي تسمية أندلسية للثريا . انظر رقم ٤٠٤ .

-الزكروم:القفل والغلاق.رقم ٣٩١.

وهي مدونة فيVoc ص١٨٨

(*) انظر ما نشره الدكتور الهواني في مجلة المخطوطات .

وما تزال مسموعة في المغرب.

– الزز بمعنى صفع القفا. رقم ٤٢٥. وهي مستعملة في الشعر الأندلسي فصيحة وعاميّة، وفي أمثال الزجالي وغيرها وقد ذكرها الزبيدي في تاج العروس ثم قال :" وهي شائعة بالأندلس" وانظر ما كتبناه حول الكلمة في كتابنا أمثال العوام في الأندلس ٢ : ٢٣٧.

– برّح بمعنى نادى ، والبراح المنادي، رقم ٢٩٨.وهي كلمة شائعة في النصوص الأندلسية والمغربية، ووردت في أمثال الزجالي ٢:١٣٢، ٢٣٠، ٣٩٠ .

ــ تور بمعنى حَسْكة أو شمعدان رقم ٣٩٧ وقد وردت في الاستبصار : ٢٠ وفي أمثال الزجالي ٢: ٨٤ وهي في Voc ص٢٧٨ .

ــ قارح بمعنى فرس وجمعه قُرّاح. رقم ١٤٥ووردت في أمثال الزجالي٢:٢٥٣.

ــ مُجّة بمعنى ثدْي. رقم ٤٤٠ والكلمة واردة في Voc ص ٤٦٧ .

وممّا هو مشترك بين لهجة الملعبة واللهجة الأندلسية أيضا ما يلي :

–المحافظة على كسر عين اسم الفاعل من الثلاثي مثل: عادِل ، فاسِ، طائِل ، سائس ... إلخ .

وهذا معروف في العامية الأندلسية وعامية منطقة جبالة في المغرب، وإليها ينتمي صاحب الملعبة ، أما الشائع عند غير جبالة فهو الفتح .

– المحافظة على صيغة اسم الموصول : الذي، فاستعمالها هكذا متكرر في الملعبة، وهي المستعملة في أمثال الزجالي وأغلب النصوص الأندلسية العامية .

– ورود التنوين المفتوح، وهو نوع من التنوين شائع في الأمثال والأزجال، وقد تحدثت عنه في دراسة أمثال الزجالي . انظر ج ١ ص ٢٨١– ٢٨٢ .

– استعمال " إكان " بمعنى لَوْ ، وأصلها أن كان .انظر رقم٣٤١.

– استعمال "بحل" للتشبيه ، وهو استعمال ما يزال جاريًا في اللهجة

المغربية إلى اليوم .

– استعمال "ترى" "وإذا بـــه" انظـــر الأرقام ٢٠٢ ، ٢٣٠ ،٤٢٧ ، وهـــو استعمال أندلسي سجله معجم Voc ص ٣٦٠.

وتستعمل أيضًا بمعنى "ها هو" انظر دراستنا لأمثـــال الزجـــالي ج ١ ص ٢٩٨ .

– استعمال "لس " أي ليس . رقـــم ١٩.

– استعمال "هَوْلَ " أي هؤلاء ، رقـم ٢٥٥، وتـــرد كذلـــك فـــي الأزجـــال الأندلسية (العـــاطل الحـــالي : ٥٠) وهي في معجم Voc ص ٤٤٤.

– استعمال "ذوك" بمعنى أولئك رقـم ٢٥٥.

وقد وردت في الملعبة أمثـــال عاميـــة توجد عند الزجالي وابن عاصم ومنها:

أش دعانا لراس الاقـــرع .. رقـــم ١١٠.

الاعمش في حضرة العميا ...رقـــم ٣٥٠.

لا مكان ولا إمكان . رقم ٤٦ .

إذا نزل لقضا عمت الأبصار . رقـم ٦٧ .

زز قادسي . رقم ٤٢٥ .

در في غزولك . رقم ١٩١ .

وبعضها ما يزال مسموعًا إلى اليوم .

إن هذا التماثل بين ملعبة الكفيـــف الزرهوني وبين النصوص الأندلســـية من حيث الاستعمال يمكن تفسيره بمـــا يلي :

– تأثر الزجـــال المغربـــي القديـــم بمحفوظه من الأزجال الأندلسية .

– اشتراك لهجتي الأندلس والمغرب في عدد كبير من الألفاظ التي تعتـــبر ألفاظًا مغربية بالمعنى الواسع .

– تأثر لهجة منطقـــة جبالـــة التـــي ينتمي إليها الكفيف باللهجة الأندلســـية بحكم القرب والجوار، ولأن أهل جبالة أو غمارة كانوا يقومون دائمًا بفـــرض الجـــهاد فـــي الأندلـــس ويتطوعـــون بدخولها من أجل ذلك ثم يعودون إلـــى ديارهم ، ثـــم إن عـــددًا كبـــيرًا مـــن الأندلسيين استقروا بمنطقة جبالة فـــي أفواج متعاقبة ، فرارًا من الفتن التـــي

كانت تنشأ في الأندلس، وخلال فترة الجلاء عن القواعد والمدن المفقودة ثم بعد الخروج الأخير من غرناطة وتوابعها.

ومع ما ذكرناه من مؤثرات أندلسية في الملعبة ، فإنها تحتفظ بخصائص محلية، هي خصائص لهجة جبالة ، وهذه المنطقة تمتَد فى شكل هلال من طنجة إلى تازا، وهي محفوفة بحزام من المدن هي النكور وبادس وتيجساس وتطوان وسبتة والقصر الصغير وطنجة وأصيلة والقصر الكبير والبصرة واسْجَن وبني تاودة ووليلي وفاس، وقد انتشرت اللغة العربية في هذه المنطقة ، بفضل قربها من هذه المراكز الحضرية ، وارتباطها بالمسالك التجارية ، وانتشار المدارس القرآنية وغيرها ، وساعد في تعريبها أيضًا مجاورتها للأندلس وصلتها بها، وقيام إمارات إدريسية وغيرها فيها .

ويذكر الإدريسي أن القبائل المجاورة لفاس – حيث نشأ صاحب الملعبة – كانت تتكلم بالعربية، قال : "ويسكن حولها (فاس) قبائل من البربر ولكنهم يتكلمون بالعربية ، وهم بنو يوسف وفندلاوة وبهلول (بهاليل) وزواوة ومجاصة وغياتة وسلالجون"(١)

وقد درس المستعربون مثل بروفنسال وكولان هذه اللهجة الجبلية في العقود الأولى من هذا القرن(٢)، وما تزال محتفظة ببعض الخصائص التي تجدها في ملعبة الكفيف الزرهوني .

ومن أبرزها :

– حذف الهاء من ضمير الغائبة في مثل قول الكفيف :

مِنّا أي منها . رقم ٧ .

ما أصعبا أي ما أصعبها . رقم ٥١.

ما أشرا أي ما أشرها . رقم ٥١

شرقا أي شرقها . رقم ٤٩ .

(١) نزهة المشتاق : ٢٤٦ (الطبعة الإيطالية)

(٢) لبروفنسال كتاب في لهجة ورغة ولكولان كتاب فى لهجة تازة .

ومثل هذا كثير في الملعبة .

وفي بعض الحالات نجد الشاعر يقف على الهاء المذكورة بالسكون ويفتح ما قبلها كقوله :

ما شراها مليك ولا باعَهْ .(أي باعها) رقم ١٤ .

ومثل هذا الاستعمال معروف في لهجة أهل تطوان فهم يقولون في المثل: إذا جاتْ تقودَهْ بشعرا .

وقد جمع الشاعر بين الاستعمالين في قوله (رقم ٥) :

كانت إذا ذكرت كره خَبْرا

وقال اسمَهْ يفرق الإخوان

أي كره خبرها ، وقال : اسمها .

-حذف الهاء أيضًا من ضمير الغائبين (الغائبات)كما في قوله :

بينَم أي بينهم . رقم ٢١٧ .

لَم أي لهم . رقم ٣٤١ .

عندمْ أي عندهم . رقم ٣٣٩ .

ومثل هذا متكرر في الملعبة . وهو مما يميز لهجة جبالة عن غيرها .

-استعمال فعل "ألقى " بمعنى عمل كقوله :

حتى ألقى سلسلاً لذاك الشأن .رقم ٣١.

وماتزال مسموعة في مناطق جبالة وقد تنطق بالراء . وهي بالراء في لهجة غرناطة. انظر ALC وقاموس دوزي.

-استعمال "فاه " من الأسماء الخمسة، ولا يوجد هذا الاستعمال في اللهجات العامية في حين أنه ما يزال موجوداً في لهجة جبالة .

وثمة بعض الظواهر الصوتية في رسم النسخة الخطية الوحيدة للملعبة ككتابة الصاد سينا في الكلمات التالية:

-السحرا أي الصحراء . انظر الأرقام ٣٦،٣٧ .

-يسورو = يصورو . رقم ٤٧ .

-يسرح أي يصرح . رقم ٥٨.

-التسريح = التصريح .رقم ٥٨.

-السح أي الصح والصدق.رقم٢٦٧

-الحسرا = الحصرا . رقم ٣٥٢.

-الحسران أي الحصران والحصار. رقم ٤٧١.

وكتابة الضاد دالا مثل :

-ودحا= وضحى أي وأضحى.رقم٢٢٤.
وكتابة الزاي جيمًا مثل البيجان أي البيزان. رقم ٣٣٦.
وكتابة الجيم دالاً مثل دشم أي جشم . رقم ٢٥٢.
ولكننا لا نعرف هل هذا يمثل لهجة جبالة أو لهجة الناسخ المجهول؟ونشير بالمناسبة إلى الفرق الواضح في القراءة بين النسخة الخطية، وما ورد من الملعبة في مقدمة ابن خلدون وأزهار الرياض وقد أشرنا إلى بعض هذه الفروق في حواشي الملعبة .
ويبدو أن الكفيف كان يعرف الأمازيغية، فقد استعمل جملة من كلماتها، واستعان بها في بعض قوافيه، وها هي الكلمات الواردة في الملعبة.
- إيسان أي الخيل رقم ١١٦.
- أسردان أي البغال . رقم ١٤٢.
- أنزران أي المطر . رقم ٢٣٦.
- إيمزدغن أي السكان . رقم ٣٤٢.
- أزرزي أي الكلفة المخزنية، ومنها الكلمة المعروفة الـزّرْز أي الحمال. رقم ٣٤٥ .
- غيلاس أي النمر أو الذئب. رقم١١٤.
- تاسا أي الوسط . رقم ٢٨٨ .
- تيسدنان أي النساء . رقم ٢٢١.

ومن المعروف أن شيخ الزجّالين ابن قزمان استعمل في أزجاله بعض الكلمات البربرية، مثل : أشكد .
ونشير في النهاية إلى مستوى لغوي آخر في الملعبة وهو المستوى الفصيح، ويتجلى فى طائفة كبيرة من الألفاظ المعجمية مثل الرّان ، الـزرق، القطعان ، الشعراء ، المعجر، الصافنات ، وغيرها. كما يتجلّى في التراكيب العربية التي لا ينقصها إلا الإعراب ، ولا شك أن هذا يدل على ثقافة الشاعر وتمكنه المتين من اللسان العربي المبين .

جـ ـ العامية الأندلسية والمغربية بين أمثال الزجالي وملعبة الكفيف الزرهوني

من المواضيع التي بـــرز فيـــها أعـــاريض الأزجـــال والموشـــحات الباحثون المستعربون وقصـــر فيـــها وتضلعًا في الشعر الإســـباني الـــذي العرب الدارسون موضوع الخرجـــات تعرف مجاميعه بـــ " الرومـــانثيرو "، العجمية الذى كان موضـــوع ندوتكـــم وللأسباب التي ذكرناها وغيرهـــا لـــم السابقة وموضوع اللـــهجات العاميـــة يبدأ إســـهام البـــاحثين العـــرب فـــي العربية الذي تدور حوله بحوث نـــدوة الموضوعين المذكورين إلا في العقـود هذه السنة، ويرجع تقصير البـــاحثين الأخيرة، وقد نشرت كلية الآداب فـــي العرب في هذين الموضوعيـــن إلـــى الرباط كتابًا يشتمل على مـــا كتـــب أسباب متعددة ومختلفة ، منـــها عـــدم بمختلف اللغات مما له تعلـــق بـــهذين الخروج عما درج عليه الأسلاف مـــن الموضوعين خلال مئة وثلاثين سـنة ، إهمال لأمثال هذه الموضوعات، وأنها ويبدو من حصيلة هذا الكتاب مصـداق لا تستحق أن تـــدون فـــي المجلـــدات ما قلناه(*) .

المخلدات ومنها الخوف علـــى اللغـــة إن العود إلى هذين الموضوعين فـــي العربية الفصحى ولا سيما بعد أن دعا ندوتكم هو مما يدعى بالعود الأحمـــد، بعضهم إلى استعمال العامية بدلا مـــن وذلك لكي نعـــرف مـــا ظـــهر مـــن لغة القرآن ، ومنها فـــي الأخـــير أن نصوص، وما جد من بحوث، ولكـــى موضوع الخرجات يتطلـــب معرفـــة يقع التلاقي ويحصل التعـــارف بيـــن باللهجات الرومانسيـــة وتوسعًا فـــي الجامعـــيين العاملين في هذا الميدان،

(*) Langue et Sociètè au Maghreb, Bilan et Perspectives.

وكما تعلمون فقد خلف الأعلام الـرواد جيل من الباحثين الكهول والشـــباب، ومنهم الذين دعوا إلى ندوتكم الأولـــى وهذه الثانية ، وهم يواصلون الجـــهود ويتابعون البحوث ويصلون إلى نتـــائج جيدة وإذا سمحتم فسأمثل لهم بالأســتاذ فدريكو كوريينتى المحرك والمنســـق لهذه الندوة والتي قبلها زاده الله طاقـــة على العمل وتوفيقًا فيه .

وبعد، فإني سعيد بالمشـــاركة فـــي هذه الندوة العلمية الدولية المخصصـــة لمدارسة المداخلة اللغوية بين العربيـــة واللغات الرومانسية في شبه الجزيـــرة الإيبيرية .

ومثيلاتها في سائر اللهجات العربيـــة الثغرية، وقد اقترحت علـــى اللجنـــة المنظمة أن أسهم بمقالة فـــي محـــور لهجات الأندلس والمغرب ، وأنـــا وإن لم يكن لي تخصـــص فـــي الـــدرس اللغوي أو اللساني الحديث فقد كان من قدري أن اشـــتغلت بتحقيـــق بعـــض النصوص العامية القديمة في الأمثـــال والأزجال ، وقد طبع منـــها :" أمثـــال العـــوام للزجـــالي"و"ملعبـــة الكفيـــف الزرهونى" ، ومما هو معـــد للطبـــع: "أمثال ابن عاصم" و" أمثال أبي مديـــن الفاسي "، و"أمثال مغربيـــة قديمـــة " لمؤلف مجهول ، ولعل اشتغالي بـــهذه النصوص وغيرها هو مـــبرر كونـــي بين الموجودين في هذه النـــدوة مـــن اللغويين واللسانيين ، ومن المعـــروف أن النصوص ولا سيما العامية منـــها هي المادة الأولى التي يقـــوم عليـــها عمل هؤلاء .

وإذا كنت سأعود إلى الكـــلام عـــن أمثال الزجالي وملعبة الزرهوني فلأن بعض المشتغلين في هذا الميـــدان لـــم يقفوا عليهما أو لم يلتفتـــوا إليـــهما ، ومن هؤلاء الشخص الذي اســـتأجرته مؤسسة كونراد أديناور وانتدبته كليـــة الآداب بالرباط لوضع ببليوغرافية عن لهجات الغرب الإسلامي وقد احتطـــب ما شاء أن يحتطب ولكنه أغفل أمثـــال العوام في الأندلس التي طبعـــت فـــي مطبعـــة محمـــد الخـــامس الثقافيـــة والجامعية بفاس عام ١٩٧١م وملعبـــة

الكفيف الزرهوني التي طبعت في المطبعة الملكية بالرباط عام١٩٨٧م، وسواء أكان إغفال هذين العملين سهوًا أم قصدًا من جامع الببليوغرافية المذكورة فإنه مسؤول عما فعل أمام المؤسسة والكلية اللتين استأمنتاه على عمل أخل بشيء من شرطه ، ومسؤول أمام ضميره أو أمام همته، كما أن من جملة ما أغفلته هذه الببليوغرافية الناقصة ديوان الششتري بتحقيق النشار، وديوان ابن قزمان بتحقيق كورييتى ، ولست أدري كيف لا يشتمل مسرد ببليوغرافي حول اللهجة الأندلسية على النصوص الأربعة المذكورة مع أنها أطول النصوص وأهمها في هذه اللهجة .

ومهما يكن من أمر فإني أنتهز مناسبة هذه الندوة لأخبر الزملاء المنتدين بعزمي على إخراج طبعة جديدة مزيدة ومنقحة لكل من أمثال الزجالي وملعبة الكفيف، وفي انتظار ذلك أود أن أقتصر هنا على التعريف بقيمة هذين النصين وفائدتهما في تعميق معرفتنا باللهجة الأندلسية وهي التي تتميز من اللهجات العربية القديمة بتوفرها على معاجم ووثائق جعلت الدارسين يعرفونها أحسن من غيرها ، فأما المعاجم فمنها كتب لحن العامة التي ألفها الزبيدي وابن هشام وابن هانئ وابن خاتمة، ومنها معاجم المسيحيين مثل المعجم المنسوب لريموند مرتين ومعجم بطرس القلعى. وأما الوثائق فنجدها في مجاميع الأمثال ودواوين الأزجال وغيرهما، ومن النوع الأول مجموع الزجالي الذي نبدأ به فنقول :

تعتبر الأمثال شريحة من شرائح التعبير اللغوي ولونًا من ألوان القول أوفنا من فنونه، وقد ظلت في تقاليد الدراسة الأدبية أدون فنون القول مقامًا وأهونها شأنًا وأقلها عناية واهتمامًا ويستوي في هذا الأمثال الفصيحة والمولدة والعامية ، ولم يقع الاتجاه إلى الاهتمام بهذه الأخيرة إلا في السنوات الأخيرة، ومما يلاحظ أن ثمة فراغًا بين ما يعرف باسم أمثال

المولدين التي جمعها الميداني (٥١٨) وبين الأمثال العامية المستعملة في عصرنا، ولعل الأندلس تشكل استثناء، فقد دونت أمثالها العامية منذ أن برزت خطوط الشخصية الأندلسية ووضحت معالم المجتمع الأندلسي بدءاً بابن عبد ربه في العقد ومروراً بابن هشام اللخمي الإشبيلي ويحيى الزجالي وأبى بكر ابن عاصم وختمًا بابن القفال . (*)

تعتبر مجموعة الأمثال التي استخرجناها من كتاب "ري الاوام" للزجالي أكبر المجموعات الأندلسية وأهمها على الإطلاق ، وقد بينا في دراستنا قيمتها التاريخية والاجتماعية والأدبية واللغوية، وسنقف في هذه المقالة عند بعض الملامح العامة في اللهجة الأندلسية كما تبدو في الأمثال المذكورة ولنرى كذلك مدى دلالتها ومطابقتها لما توصل إليه الباحثون في قواعد هذه اللهجة وخصائصها

الصوتية والصرفية والدلالية والمعجمية، ومن قدماء هؤلاء الباحثين كولان وشتايجر وأسين على سبيل المثال، ومن المحدثين كوريينتى على سبيل المثال أيضًا؛ وتجدر الإشارة إلى أن بعض علمائنا الأقدمين نبهوا على بعض الظواهر اللغوية في لسان أهل الأندلس مثل الإمالة والتصغير والتنوين المنصوب وإطالة الحركات ووقوع القلب والإبدال في كلامهم كإبدال النون ميمًا وإبدال التاء طاء وإبدال القاف كافًا أو نطقها معقودة كما نبهوا على تغاير اللغات واللهجات في الأندلس ، فلغة أهل فحص البلوط غير لغة أهل قرطبة، ولغة أهل شنوق الأندلس تتميز من غيرها ، ولأهل الثغر لغتهم التي ظلوا معروفين بها حتى بعد لجوئهم إلى مملكة غرناطة، أما كلام أهل غرناطة فلعله الأكثر تدوينًا والأوضح سمة من سواه .

إن أمثال الزجالي-كما هي مرسومة

(*) انظر الفصل الذي خصصناه لتاريخ الأمثال في الأندلس وذلك في القسم الأول من كتابنا.

ومشكولة في النسخة المرويـــة عـــن مؤلفها – جاءت مؤكـــدة لكثـــير مـــن المعطيات المبسوطة فـــي دراســـات وعندما نشرتها في قسمين : دراســـة ونصوص، كنت أطمع في أن تكـــون باعثة على الاهتمام بدراسة الأدبيـــات الشعبية واللهجات الأندلسية والمغربيـة في كلية الآداب ولكني كنت في هـــذا كأشعب وأضرابه، فبعد مرور عشرين سنة على صدور تلكم الأمثال ظـــهر في الكلية المذكورة كتاب حول البحـث اللغوي في المغرب خلال مئة وثلاثين سنة ولم يرد فيه ذكر لأطروحتـــي ، وأنا لا أريد هنا توجيـــه اللـــوم إلـــى المشرفين على إصدار هذا الكتـــاب ، وإنما أريد تسجيل أمر بدا لـــي علـــى جانب كبير من الغرابة، وقـــد يكـــون السبب فيه سوء التوزيع أو سوء النية، إنما سوء التوزيـــع فـــإني معـــترف بوقوعه وعارف بسببه، فقد طبع القسم الثاني قبل القسم الأول ، وطبـــع مـــن القسم الثاني ٢٠٠٠ نسخة ولم يطبـــع من القسم الأول إلا ١٠٠٠ نســـخة ، وهذا ما يدفعني إلى الاتجاه إلـــى دار نشر تضمن توزيعـــه فـــي المغـــرب والمشرق، وأما سوء النية فهو شـــيء مفترض لأن العدد الأول مـــن مجلـــة كلية الآداب – وهي الكلية التي نشرت الكتاب المذكور – يحتوى على مقـــال طويل (من ص٢٥١ إلـــى ص٢٧١) كتبه محمد زنيبر في التعريف بأمثـــال الزجالي، وقد جاء في آخر هذا المقال ما يلي :

" ومجمل القول أن محمد بنشـــريفة فتح في هذا الفصل (يعنـــي الفصـــل الخاص بلغة الأمثال) بابًا من البحـــث الشيق والمفيد في تطور اللغة العربيـــة من الفصحى إلى العامية وفي المقارنة بين مختلف اللهجات الدارجة في العالم العربي المعاصر، ونغتنـــم الفرصـــة لنعبر عـــن تمـــنٍّ نقدمـــه للســـلطات الجامعية ولكل المثقفين وهو أن تحظى اللهجات العامية باهتمام خـــاص فـــي برامج الدراسة والبحث ولا تبقى مـــن المواضيع التـــي لا يلتفـــت إليـــها إلا المستشرقون " ولم يتحقق تمني زنيبر

مثلما لم يتحقق طمعي.

وإذا كانت " أمثال الزجالي " وملعبة الكفيف الزرهوني قد ضاعتا أو لم تستدعيا إلى تلك " المأدبة" اللغوية التي كانت جَفَلَى لا نَقَرَى فإنها قد لقيت ترحيبًا خاصًّا لدى العارفين في المشرق والمغرب ، وقد سمعت من الثناء عليها ما أخجل تواضعي ، وليس هنا مقام الكلام في هذا ، فلنرجع إلى الموضوع .

نظرًا لأن الموضوع العام لهذه الندوة الدولية هو التداخل بين اللغات فسأتحدث عن آثار التداخل بين العربية والعجمية في أمثال الزجالي وآثار التداخل بين العربية والبربرية في ملعبة الكفيف الزرهوني وسأبدأ الأول فأقول :

لقد وردت نصوص متعددة تشير إلى أن أهل الأندلس عامة والعجم منهم خاصة ، كانوا يعرفون العجمية (الرومانثية) وقد بنى الدارسون المحدثون من المؤرخين واللغويين على هذا وجود الازدواجية أو التعددية اللغوية في المجتمع الأندلسي، وإذا كانت " خرجات " الأزجال وغيرها تشهد لهذا فإننا نلاحظ أن الأمثال ، ومنها أمثال الزجالي وأمثال ابن عاصم ، يندر فيها وجود الكلمات الأعجمية ، وكان المنتظر حسب ما يذكر من انتشار العجمية في البيئات الشعبية أن يكون عدد الكلمات العجمية كثيرًا في الأمثال المذكورة ، وأما أثر العجمية في الشعر الفصيح فإنه أندر من الكبريت الأحمر ، وإذا كنا نجد ظرفاء عباسيين يلحون أشعارهم بكلمات فارسية وظرفاء مصريين يلحون أبياتهم بكلمات تركية فإننا لا نجد مثل هذا لدى الشعراء الأندلسيين إلا نادرًا، ومن ذلك تلكم المداعبة المشهورة التي جرت بمجلس عبد الرحمن الناصر بين عبد الملك بن جَهْور وأبي القاسم بن لُب وفيها يقول هذا الأخير :

لولا حيائي من إمام الهدى
نخست بالمنخس " شو قُولُ "

و" شو قول " هي : su culo[1]

ومن ذلك أيضًا ما جاء في اقتباس الأنوار للرّشاطي (وهذه الشهرة مبنية على كلمة أعجمية):" وقّش : قرية بثغر الأندلس ، قال بعض المُجّان :

جَارِية أبصرتُها ناهِدًا
في قَرْيَةٍ تُعْزى إلى وَقّش
قُلْتُ لِمَنْ نَهْدَاكِ يَا هَذِهِ
قَالَتْ بِرُومِيَّتِها :" تُوَشِ "[2]

معنى توش متاعك " .[3]

وهذا رسمها بالحروف اللاتينية : tuas، وإيراد الرشاطي المحدّث للبيتين وشرحه للعبارة الأعجمية يدلّ على ظرفه ومعرفته بعجمية الأندلس وهو أمر مقرّر ومؤكد، فقد كانت مربيته عجمية، وإذا كان مثل هذا نادراً جدّا في الشعر الفصيح فإنه شائع في الأزجال والموشحات ، ولاسيما في الخرجات ، ومع هذا فإن أثر العجمية في اللغة العربية الأندلسية هو في نظرنا دون ما يظنّ، وهذا مع احترامنا لجهود سيمونيت وغيره في هذا الميدان، ولعلّه من الطبيعي أن يكون أثر اللغة العربية في القشتالية وغيرها من لغات شبه الجزيرة هو الأقوى والأوضح ، ويدلّ على ذلك قاموس الأكاديمية وغيره .

إن التأثير والتأثر بين العربية والعجمية في الأندلس يظهر في مستويات متعددة نذكر منها ما يلى :

١-المستوى المعجمي أو مستوى الألفاظ ، وهذا هو أبرز مستويات التداخل اللغوي في جزيرة الأندلس، والجانب الذي يعنيني هنا هو الألفاظ الرومانثية الداخلة أو الدخيلة في عربية أهل الأندلس، وهذه الألفاظ نجدها على الخصوص في كتب النبات

---

(١) راجع الخبر في البيان لابن عذاري .

(٢) اقتباس الأنوار (مخطوط) ولم يرد البيتان فيما طبع منه .

(٣) في voc ص ٦١٨: متاعك : tuas وهو تفسير مطابق لتفسير الرشاطي .

مثل كتاب المفردات لابن البيطار[١] وكتاب عمدة الطبيب لأبي الخير الإشبيلي[٢]، ومنه استخرج أسين بلاثيوس " معجم الألفاظ الرومانثية " المنشور عام ١٩٤٣م كما نجد هذه الألفاظ في المعاجم الأندلسية (التي وضعها مسيحيون مثل Voc و Alc اللذين أشرت إليهما سابقًا ، ونجد أيضًا شيئًا من هذه الألفاظ في كتب لحن العامة الأندلسية ولكنها قليلة ، والذى نجده من هذا المستوى في أمثال الزجالي حوالي ٢٥ كلمة .

٢-ومن مستويات تأثير العجمية في العربية العامية بالأندلس تلكم المقاطع التي توجد في آخر بعض الكلمات العربية، وأشهرها وأكثرها مقطع "on" الذي جرى الأندلسيون على جعله في آخر الأسماء العربية ، ومنها : زيد = زيدون، عمرو= عمرون، ويراد بهذا التكبير كما نصّ عليه المؤرخ الرازي[٣] وقد ذكرت من هذه المقاطع سبع حالات وردت في أمثال الزجّالي وغيره، ولم يكن بعض علمائنا الأقدمين يجهلون معنى هذه المقاطع كما يدل على ذلك نص ورد في الذيل والتكملة .[٤].

٣-ومن مستويات التأثير النّاشئ عن الاحتكاك باللغات الرومانثية في الأندلس واستعمال عجمها للّغة العربية بروز بعض الحالات في الاستعمال اللغوي ، مثل : تأنيث المذكّر، وتذكير المؤنّث، واستعمال الجمع، محل المفرد والمفرد محل الجمع وما أشبه ذلك، وقد فسّر الأستاذ خ.ب. لاثرو أمثلة عديدة وردت فى مدخل ابن هشام من هذا القبيل، ومن المعروف

(١) راجع عمل الأستاذ إبراهيم بن مراد في هذا الكتاب المطبوع قديمًا .

(٢) نشرته أكاديمية المملكة المغربية في مجلدين بإعداد الأستاذ محمد العربي الخطابي.

(٣) يبدو أنّ الأستاذ كورييتى لم يهتم بهذا النص الذي ورد في المعيار للونشريسي .

(٤) الذيل والتكملة ١.

أن مثل هذا قد حصل أيضًا بسبب التداخل اللغوي والثقافي بين العربية والفارسية، والعربية والبربرية ، ومن أشهر الأمثلة التي نضيفها إلى ما عدّده زميلنا المذكور كلمة باب التي يؤنثها عامّة أهل فاس ويسري غلطهم فيها إلى الخاصة ، كما أن البربرية تؤنّث كلمة المسجد قياسًا على كلمة الكنيسا . وانسحب ذلك على كلمة جامع التي وردت مونّثة في بعض النصوص التاريخية، وما تزال بهذا الاستعمال في شمال المغرب.

٤-وثمة مظهر آخر للتداخل بين العجمية والعربية في الأندلس نلحظ شيئا منه على مستوى التركيب ، ومن أمثلته في أمثال الزجّالي قولهم :

غُبَارُ الغَنَمِ كُحُول هُو لِعَيْن السَّبع. (*)

فالمطابقة تامة بين التركيب العربي هنا والتركيب القشتالي وهو كما رواه سنتيلانا :

El polvo de la oveja, alcohol es para el lobo

وثمة أمثلة متعدّدة من هذا المستوى في أمثال الزجّالي وابن عاصم وكتب لحن العامة .

وبعد، فهذه مجرد إشارات عامّة إلى بعض ما يتعلق بالتداخل بين العربية والرومانثية في شبه الجزيرة الإيبيرية من خلال أمثال الزجالي ، ومن المعلوم أن هذا القرطبي الأصيل بعد خروجه من قرطبة قضى شطرًا من حياته الأخيرة في مدينة مراكش التى دفن بها ، فيها ومن هنا فإن مجموعه في الأمثال يقدّم لنا كذلك شواهد على التداخل اللغوي بين العدوتين ولاسيما على المستوى المعجمي أو القاموسي، وإنّه لأمر طبيعي أن يحصل هذا التداخل بعد ما يقرب من ثلاثة قرون من الوحدة بين المغرب والأندلس كانت مليئة بالتنقلات الكثيرة والمخالطات الواسعة ممّا من شأنه أن يقلص الفروق بين اللهجات العربية في الأندلس واللهجات العربية في العدوة ، وأظنّ أن الأستاذ

(*) راجع أمثال العوام في الأندلس (القسم الثاني) .

كولان كان على حق عند ما قال في معرض كلامه على " عامّية" المغرب في عصر الموحدين : " إنّ من حقّنا أن نتساءل إلى أي حدّ كانت العربية الدارجة في المغرب مخالفة للعربية الدارجة في الأندلس " (*).

قلت آنفًا إن التداخل اللغوي بين العُدْوتين في هذا العصر كان شيئًا ملموسًا على مستوى الألفاظ المستعملة، وهذا ما تشهد له النصوص والمعاجم التي ترجع إلى تلك الحقبة، وسأورد أمثلة من هذه الألفاظ فيما يلى :

– قطيم : وصمة يعير بها من بهم شذوذ جنسي، وهي فيVoc ص٥٨٣، وقد استعملت في الشعر الفصيح، ووردت في أمثال متعدّدة عند الزجالي رقم ١٦٥، ورقم ٣٨٤، ورقم٤٨٨ ، ورقم ٥٢٠ ، ورقم ٧٨٧، ورقم ٩٦١ ، ورقم ١٦٦٤.

وقد كان أبو العباس السبتي يتلفظ بهذه الكلمة كثيرًا (الأعلام للمراكشي ١: ٢٤٠) والكلمة غير مستعملة اليوم.

– قِطاع : درهم ، وهي أيضا في Voc ص ٤٩٤ ، وقد وردت في أمثال متعدّدة عند الزجّالي (انظر الفهرس) واستعملها ابن قزمان وغيره من الزجالين كما استعملها عبد الواحد ابن عاشر الفاسي الأندلسي الأصل في منظومته الفقهية، وذلك في قوله :

ثمَّ الصَّلاةُ والزّكَاة في القِطَاع
والصَّوْمُ وَالحَجُّ عَلَى مَنِ استَطَاع

والواقع أن الكلمة قاموسية فصيحة، جاء في القاموس للفيروزبادي : قطاع ككتاب الدرهم، ولكن استعمالها شاع في الأندلس والمغرب في العصر الذي نتحدّث عنه، ثمّ إنّه لم يعد مستعملا في العهود المتأخرة ، ولهذا فإن المثل الذي كان يقال في زمن الموحدين بهذه الصيغة:

حاجة بقطاع : يهودي يقضيها.

أصبحت صيغته بفاس في القرن الثاني

(*) هسبيريس ١٩٣٠م.

عشر الهجري هكذا : حاجة بالدرهم : يهودي يقضيها .

-تَوْر (أي حسكة أو شمعدان) وهي من الكلمات المذكورة في Voc ص ٢٧٩ وقد وردت في أحد أمثال الزجالي رقم ٨٠٧ ونجدها مستعملة في مؤلفات العصر مثل كتاب الاستبصار (ص ٢٠) وقد رسمها محقق الكتاب بالثاء المعجمة ، والكلمة قاموسية فصحية ، وهي واردة في الحديث ، ولكن الجديد فيها هنا هو تطور الاستعمال من إناء يشرب فيه إلى شمعدان يستضاء به .

- الجوف (بمعنى الشمال) موجود في Voc وفيها أيضًا : ريح جوفي أي ريح الشمال، وهذا الاستعمال موجود في كتب الجغرافية القديمة وكتب الوثائق، ونجده كذلك في الشعر الأندلسى، فمن ذلك قول ابن اللبّانة يمدح ابن الأفطس :

وقْد كَانَ قُطرُ الجَوْفِ كَالجَوْفِ يشتكي
سَقَامًا فَلَمّا زُرْتُهُ زارهُ الطبُّ .[1]

فالجوف الأول معناه الشمال والثاني هو المعدة ، ولابن الخطيب بيتان في السّها من النجوم الجوفية استخدم فيهما التورية بكلمة الجوف[2] التي تحتمل معنيين كما رأينا ، وإذا كانت كلمة القبلة بمعنى الجنوب ما تزال مستعملة فإن كلمة الجوف التي كانت تستعمل بمعنى جهة الشمال لم يبق لها هذا المعنى في الاستعمال الحالي .

- قطيع أي قنينة طويلة العنق ، وهي في قاموس Voc وجاءت في أمثال متعددّة عند الزجالي (انظر الفهرس) وهي واردة أيضا في الأزجال والموشحات والأشعار، ومن ذلك قول ابن الطّبْني :

لاتَسقِنِي إلاّ بِكَاسٍ إذا
شَرَبْتُهَا تَملِكُ عَقْلِي جَميع

---

(١) المغرب لابن سعيد والقلائد والذخيرة .

(٢) راجع ديوانه بتحقيق محمد مفتاح .

وَزَادَكَ اللهُ سُرُوراً إذا
سَقَيْتَنِي بِالْجَامِ أوْ بِالقَطِيع[1]

وقول ابن الإفليلي :

صَحِبْتُ القطِيعَ ونادمْتهُ
وَأصْبَحْتُ في شُرْبِهِ ذا آنْقطاع
وأبْصَرتُ أنْسِي بِهِ وَحْدَهْ
كَأنْسِ الرَّضِيع بِثَدْي الرّضَاع . [2]

ولم تعد هذه الكلمة المسموعة في طرب " الآلة " أو الموسيقا الأندلسية معروفة لدى عموم الناس .

-طرقون : صاحب الملاهي ، وردت بهذا المعنى في Voc ويستفاد من نصّ لابن الخطيب في الإحاطة أنها كانت معروفة في أوّل عصر الموحّدين، ونقل مؤلف كتاب "المعزى" أن أهل مراكش كانوا يطلقون هذه الكلمة على أبي العباس السبتي على سبيل السخرية وقد وردت الكلمة أيضًا في شعر للفقيه عمر الزجال، قال :

وقد جلس الطرقون بالبعد مطرقا

يقول : نصيبي أو أبوح بكتماني.[3]

-ضيف ، ضيفة، بمعنى السيد والسيدة اللذين لهما خدم وحشم، والجمع أضياف ، وقد جاء كل هذا في Voc ص٣٥٦ ، واستعمل في ثلاثة أمثال عند الزجالي رقم ٤٩٧ ورقم ١٣٣٩ ورقم ٢٠٦١ .

وسجّل هذا الاستعمال بطرس القلعي، وعلى هذا الأساس نفهمه في رسالة لبوعبدل إلى الملكين الكاثوليكيين تبدأ هكذا :"إلى السلطات والسلطانة أضيافي ... " وقد ظل هذا الاستعمال معروفا في المغرب، ونقف عليه في نصوص مختلفة ، ومنها رسالة وجهها أهل مدينة أسفي إلى عما نويل الأول ملك البرتغال وهي تبدأ هكذا : " ضيفنا ومولانا السلطان ... " .

-حلاّل بمعنى لص ويجمع على حلالين. والكلمة بهذا المعنى في Voc

(١) المغرب لابن سعيد .

(٢) نفسه .

(٣) أزهار الرياض المقرى وراجع الكلمة في Voc ودوزي .

ص ٤٠٢ واستعملها المؤرِّخ البيـــدق بهذا المعنى ، وقد وردت في أمثـــال الزجّالي .

وثمة كلمات ترجع في الأصل إلـــى العهد المذكور أو ما قبله، وما تـــزال حية إلى اليوم ومنها :

-بنّيس : إناء معين ، والكلمـــة فـــي Voc ص٦٢٠ وتجمع على بنـــانيس، وقد وردت فـــي نصـــوص أندلســـية ومغربية متعددة وفي أمثال الزجـــالي رقم ٦، ثم تُنُوسي الاستعمال الأصلـــي وبقي الاستعمال المنقول إلـــى لقـــب أصبح علمًا مستعملاً إلى يومنا هـــذا تمامًا كما هو الشأن في كلمة بـــرادة، وكلاهما الآن اسمان لعائلات كثـــيرة في المغرب .

- فنيش للبغل أو البردون، وهي فـــي Voc ص٢٧٣ وتجمع على فنـــانيش، وقد ورد استعمال الفنيش فـــي كتـــاب الأنيس المطرب لابـــن أبـــي زرع ، وذلك في سياق خبر مقتل المســـتنصر الموحدي (ص٢٤٣) ، ثم تنوسي هـــذا المعنى بعد أن نقل اللفظ إلـــى حقـــل الألقاب التى تصبح أسماء عائليـــة أو أسماء شهرة، وما يزال هـــذا الاســـم العائلي معروفًا في المغرب إلى اليوم

- فقّون. هذه الكلمة توجد كذلك فـــي Voc ص ١٥٦ وهي مـــأخوذة مـــن الكلمة العجمية : فيقه أي التّين (عمـــدة الطبيب ١ : ١٤٧) والفقّون هو مـــا نسميه بالباكور ، ثم إن هـــذا المعنـــى تنوسي وأصبحت الكلمـــة بعـــد ذلـــك شهرة لعائلة قسنطينية أنجبت عددًا من الأعلام الذين يحملون اسم الفقـــون أو الفكون ؛ وقد نجد أمثلـــة مـــن هـــذه الكلماتِ الأسماءَ التي هي مـــن بقايـــا زمن الموحدين.

ثمّ إنّ نســـبة كبـــيرة مـــن ألفـــاظ Vocabulista المستعملة فـــي القـــرن السابع الهجري ، وهو القـــرن الـــذي عاش فيه الزجّالي ، ما تزال مسموعة في بلدان المغـــرب الكبـــير ، ومنـــها الكلمات التالية على ســـبيل المثـــال لا الحصر :

البـــرّاح (أي المنـــادي) ص٥٣٢،

الرقّاص (من يمشي بالبريد) ص٣٢٨،

السبّاط (النعل) ص٥٨٥، الزفّاط (الكذاب) ص٢٥٣، البسالَة (الفضول) ص٣٢٨، الدبيلَة (الهم) ص ٢٤٥، الحوّاس (السارق وقاطع الطريق) ص٥٣٢، السِّماط (الزقاق) ومنه سماط العدول بفاس ص٢٧٦ ، الزرع (القمح) ص٢٧١ الخَدِّية (المخدَّة) ص٢٦٣، الخوخة (خوخة الباب) ص٥٢٥، القندورة (الدرّاعة)، القرنية (الكابوس) ص٢٧٢، الطروس (الكلب) ص٢٧٩، الخطّارات (معروفة في مراكش وغيرها) ص٢٩١، البجماط (نوع من البسكويت) ص٢٧٠، الفحص (البيداء) ص ٢٧٧، أم الحسن (طائر مغرد) ص ٥٢٢، الطيفور (إناء للأكل) ص٤٧٤، الفكية (الفاكهة) ٤٠٠ المرجع (مساحة في الحقل) ص٢٣٥، الحنبل نوع من الغطاء) ص٦٠٢ ، البندير (نوع من الدف) ص٦١٠ ، المخفية (إناء للأكل) ٦٢٠، الحضار (الكتاب) ص٥٧٢. اسفنّارية (الجزر) ص٥١٢، القبلة (الجنوب) شائعة

وهناك مظهر آخر من مظاهر التداخل بين لهجات الغرب الإسلامي في عهدي المرابطين والموحّدين، وهو المتعلّق بالبربرية أو اللسان الغربي أو اللغة الغربية وهي Algarabia في الإسبانية وCharabia في الفرنسية ، وأثر تداخلها مع اللهجات العربية في الأندلس والمغرب ملحوظ على مستوى الألفاظ وعلى مستوى التراكيب، فبالنّسبة إلى الأول نجد في Voc مثل هذه الكلمات : تفرمة (البازي) ص٢٦٤ ، أسمس (مأدبة ، نوع معين من المآكل) ص٣١٨، والكلمة مستعملة في كتابات المؤرخ البيدق وغيره ، تمغرة (وليمة معيّنة) ص٣١٨ ، كما نجد في كتب لحن العامة الأندلسية كلمات أخرى، منها : أدغص أي اللبأ ، وأكزل أي المخصرة ، وكرانه أي الضفدع (ألفاظ مغربية٤٠، ١٤٤، ٣٠٨) ، وفي أمثال الزجالي طائفة ، منها أيضًا : ازغار أي السهل، والبسيط وأغلال أي الحلزون ، وترخص أي البيسارة التي

تعمل من الفول .

وأما أثر البربريـــة فـــي لـــهجات الغـــرب الإســـلامي علـــى مســـتوى التركيب فله أمثلة، وقد ذكر بعضـــها الأستاذ كولان معتمدًا على نصـــوص ترجع إلى العصر الذي نتحدث عنـــه، وقد اســـتعمل ابـــن قزمـــان كلمـــات معدودات من البربرية فى أزجاله على سبيل التظرف ولكن استعماله لها يـــدلّ على أن هذه اللغة كانت مسموعة فـــي الأندلس، وقد قصّ ابن مرزوق فـــي المسند حكاية ابن زهد (ولعلـــه أبـــو بكر الخفيد) مع أحد خلفاء بني عبـــد المؤمن (ولعله المنصور) فقـــد ســـمع أهل الحضرة (أي مراكش)يتخـــاطبون بينهم باللسان المصمـــودي فتشـــوّف لتعلّمه وعبّر للخليفة عن رغبته فـــأمر أن تكتب له هذه اللغة، وتذكُر الحكايـــةُ أن الخليفة بسأل ابن زهر بعـــد مّـــدة طويلة عمّا حفظ منها فأجابه بأنه لـــم يحفظ إلا كلمة واحدة هي أوشّـــي أي أعطني ، ولما سمعها الخليفة أعطاه ما أرضاه وأمره أن يستمرّ فـــي التعلّـــم ولمّا مرت مدّة أخرى مـــن الزمـــن ، سأله هل حفظ شيئًا جديدًا فأجابه بأنـــه حفظ كلمة أخرى هي " رنّو " ومعناها زدني، فضاعف له الخليفة العطـــاء، ومهما يكن أمر هذه الحكاية فإن كتـــب البلدان مثل المسالك والممالك للبكري، وكتب النبات مثـــل المفـــردات لابـــن البيطار تحتوي على عدد كبـــير مـــن الألفاظ البربرية في أســـماء الأمـــاكن والنبات مع ترجمتها إلى العربية، وفي الأخير فإن "التوبونيميا " البربرية مـــا تزال متجـــذرة فـــى شـــبه الجزيـــرة الإيبيرية .

وآخر ما أشير إليه باختصار شـــديد في موضوع التداخـــل هـــو المتعلّـــق بـــالاختلاف فـــي الشـــكل ، فأمثـــال الزجّالي توجد منـــها روايـــة حســـب النطق الأندلسى ورواية أخرى متأخّرة حسب النطق المغربي ، وهذا جـــانب يحتاج إلى تفصيل وتمثيل .

وإذا كانت " أمثال الزجّالي " ذات قيمة كبرى ومنفعة عظمـــى لدراســـة الأندلســـية والمغربيـــة فـــي عصـــر

الموحّدين فإن ملعبة الكفيف الزرهوني لها نفس القيمة والمنفعة تقريبا بالنسبة إلى حالة العامية في عهد بني مرين ، وقد لقيت " أمثال الزجّالي " اعتناء خاصًا واستعمالاً واضحًا لدى كبار المعنيين بهذا الموضوع من أمثال أستاذي المرحوم عبد العزيز الأهواني وأستاذي إميليو غرسية غومث وأصدقائي الأساتذة إحسان عباس ومحمود مكي ولا كرانخا وكوريينتي ولاثرو، أما ملعبة الكفيف فإنه لم يمض عام وبعض عام على صدورها حتى ظهرت لها ترجمة إسبانية مع مقدمة وتعليقات(*)، وإني لفخور أن يقوم بهذا العمل شيخ المستشرقين في وقتنا ضون إميليو الذي يعرف جيّدا ما أظهره وأضمره من إعزاز لشخصه وإجلال لعلمه، وليست هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها التلاقي بين أعمالي المتواضعة وأعماله ، فقد تلاقينا في الأمثال الأندلسية إذ طبعت أمثال العوام في الأندلس عام ١٩٧١ وظهرت أعماله القيّمة عن الأمثال الأندلسية في مجلة الأندلس فيما بين عام ١٩٧٠ وعام ١٩٧٢ ولهذا فإن كلّ واحد منا يحيل على الآخر فيما توجبه الأمانة العلمية، وقد يقع بيننا الاختلاف في القراءة أو الفهم، ولكنّي أستمع إليه دائمًا باهتمام واحترام، ولمّا نشرت مقامة طرفَة الظريف قام سيادته بترجمتها ونشرها في مجلة STUDI LA ISLAMICA مع مقدمة نوّه فيها بطرافة النّص ومجهودي في تحقيقه ، ثم تواصلت إشاراته إلي وإحالاته علىّ في إصداراته الأخيرة حول "الحمراء" وفي كل مرّة أستفيد من إضافاته القيّمة، وأما ترجمته التي نعتها بأنها شخصية أو خاصّة فلم أفهم معناها بالضبط، إذ من الواضح أنه لابدّ من نصّ يرتكز عليه في الترجمة ، ولا شك في أن ترجمة أستاذنا الجليل

(*) ELGran Zèjel Marroquì del ciego de ZarhÙn .

كانت ممكنة بفضل النص الذي نشرته وشرحته وعرّفت بصاحبه وظروفه، وأنا أعترف بأن الأستاذ الجليل لا يزاحم في ميدان الأزجال، فهو شيخ الأجيال، في هذا المجال، وإذا كنت قد سكت عما يتعلق بالجانب العروضي فلأنه مشكل وموضوع شائك، وإذا كان سيادته قد بتّ في الأمر فإن لغيره رأيًا آخر فيه.

أما قضية التوزيع والترتيب فإني أشكر الأستاذ على توجيهه فيه وسأفيد من هذا التوجيه وغيره في طبعة قادمة ستكون مشكولة حسب عروض الملعبة، والواقع أن اهتمامي في هذه الطبعة كان منصبًا على المضمون التاريخي وغيره في النص، أما الجانب الشكلي ولا سيما العروضي منه فقد توقّفت فيه وأجّلت النظر فيه، وعلى كل فإن هذه الملعبة ما كانت لتصبح قابلة للقراءة والفهم لولا المجهود الذي بذلته، والمأمول أن نعثر على نسخة جيدة منها قريبًا بإذن الله، ولنرجع الآن بعد هذه الجملة الاعتراضية إلى الجانب اللغوي في الملعبة ، وسأنقل هنا ما كتبته في مقدمة الملعبة حول هذا الموضوع نظرًا لأن توزيع طبعتها كان محدودًا، وها هو نصّه فيما يلي:

يرى المستعرب الفرنسي الأستاذ كولان أن جميع الأزجال المغربية التي ترجع إلى ما قبل العصر السعدي، قد نظمت باللجهة الأندلسية التي كانت بفضل أزجال ابن قزمان وغيره لغة الزجل "الكلاسيكية" ويبدو أنه استند في إطلاق هذا الحكم على نماذج الأزجال المغربية التي أوردها ابن خلدون في المقدمة، ومنها نموذج ملعبة الكفيف، ومع تضلع الأستاذ كولان في اللهجات، وتمرسه بقراءتها ودراستها، فإن حكمه المذكور يظل قابلاً للنقاش، فإذا كنا نعرف الكثير عن اللهجة الأندلسية بفضل وفرة نصوصها ، فإننا لا نعرف طبيعة العامية المغربية القديمة، ولا مبلغ الفرق بينها وبين عامية الأندلس وهو فرق سجله ابن خلدون عقب سرده

أزجال الأندلسيين والمغاربة فقال : "وأعلم أنّ الذوق في معرفة البلاغة منها (أي من الأزجال) كلها إنما يحصل لمن خالط تلك اللغة. وكثر استعماله لها، ومخاطبته بين أجيالها، حتى يحصل ملكتها كما قلنا في اللغة العربية ، فلا يشعر الأندلسي بالبلاغة التي في شعر أهل المغرب ، ولا المغربي بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والمشرق، ولا المشرقي بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والمغرب ، لأن اللسان الحضري وتراكيبه مختلفة فيهم، وكل واحد منهم مدرك بلاغة لغته وذائق محاسن الشعر من أهل بلدته"[1] وهذا الذي يقوله ابن خلدون لا ينفي طبعا مستوى الفهم .فقد كانت أزجال ابن قزمان مقروءة في العراق والشام ومصر[2] . وكانت مزدوجات ابن شجاع التازي معاصر الكفيف الزرهوني مروية في الأندلس إلى جانب أزجال مدغليس وابن قزمان والدبّاغ المالقي.[3].

ومهما يكن الأمر فإن ملعبة الكفيف تستعمل فعلاً لغة الزجل الأندلسي ، وتشتمل على ألفاظ معروفة في هذه اللغة، ولعلّها كانت من الألفاظ المشتركة بين عامية الأندلس وعامية المغرب ، فقد ذكر بعضها ابن هشام اللغوي الإشبيلي السبتي في كتابه لحن العامة[4] وهذه طائفة منها :

- بلج أي أغلق الباب بالبلج أي المغلاق. انظر رقم ١٩٤ وقد وردت في لحن العامة لابن هشام وفي ALC ص٩٧وVoc ص٥٢١،٤٠ وسيمونيت ص ٤٣٨ ، ودوزي ص٤٣٨ ، ويقال

(١) المقدمة : ١٤٧٤ – ١٤٧٥

(٢) الزجل في الأندلس للدكتور الأهواني .

(٣) انظر أزهار الرياض ١ : ١٢٣ ووصف أفريقيا ٢ : ٦٤ .

(٤) انظر ما نشره الدكتور الأهواني في مجلة المخطوطات .

البلاج – وجمعه بلاجة أو بلاجين – لصاحب هذه الحرفة، وسوق البلاجين في فاس معروف إلى اليوم بهذا الاسم.(انظر بيوتات فاس :٢٤ دار المنصورة) وسمعت أن الكلمة مسموعة في منطقة الشاعر .

– ساف، وهو الباشق . انظر رقم ٩٧ ولحن العامة لابن هشام، ودوزي ١ :٧٠٣ وما تزال الكلمة مسموعة في بعض المناطق بالمغرب .

–شابل، اسم سمك معروف إلى اليوم في المغرب يصطاد من الأنهار. انظر رقم ٤٠٨ وابن هشام ، والزجالي ٢: ١٤٠،٤٣٧ .

–شاشية، هي القلنسوة. انظر رقم ٢٢٥ وابن هشام وVoc ص١٢٢ وص٢٨٠ وALC ص١١٧ وص١٤٣ ودوزي و١: ٨٠٢ وهي شائعة في المغرب.

–عاد بمعنى بعد . انظر رقم ١٧٠ وقد ذكرها الزبيدي وابن هشام ووردت في. ALC ودوزي٢ : ١٨٦، وما تزال مستعملة في المغرب.

ووردت مراراً في أزجال ابن قزمان.

– فدان للموضع الذي يحرث أي الحقل، (رقم ٤٥٦) وهي عند ابن هشام والزبيدي ، واستعملها ابن قزمان بهذا المعنى. وانظر دوزي ٢ :٢٦٤ .

–قيطون بمعنى خيمة استعملها بهذا المعنى ابن قزمان وهي معروفة في المغرب. انظر رقم ٣٤٣ .

–عصا موسى، وهي تسمية أندلسية للثريا . انظر رقم ٤٠٤ .

–الزكروم : القفل والغلاق . رقم ٣٧١ . وهي مدونة في Voc ص ١٨٨، وما تزال مسموعة في المغرب.

–الزز بمعنى صفع القفا . رقم ٤٢٥، وهي مستعملة في الشعر الأندلسي فصيحه وعاميه، وفي أمثال الزجالي وغيرها وقد ذكرها الزبيدي في تاج العروس ثم قال : " وهي شائعة بالأندلس" وانظر ما كتبناه حول الكلمة في كتابنا:

أمثال العوام في الأندلس ٢ :٢٣٧ .

-برّح بمعنى نادى، والبراح المنادي ، رقم ٢٩٨. وهي كلمة شائعة في النصوص الأندلسية والمغربية ، ووردت في أمثال الزجالي ٢ :١٣٢، ٢٣٠، ٣٩٠ .

-تور بمعنى حسكة أو شمعدان رقم ٣٩٧ وقد وردت فى الاستبصار: ٢٠ وفي أمثال الزجالي ٢ :١٨٤ وهي فيVoc ص ٢٧٨ .

- قارح بمعنى فرس وجمعه قُراح. رقم ١٤٥. ووردت في أمثال الزجالي ٢: ٣٥٣ .

-مُجّة بمعنى ثدي. رقم ٤٤٠ والكلمة واردة في Voc ص ٤٦٧ . ومما هو مشترك بين لهجة الملعبة واللهجة الأندلسية أيضا ما يلي :

-المحافظة على كسر عين اسم الفاعل من الثلاثي مثل : عادِل ، فارِس ، طائِل ، سائِس إلخ . وهذا معروف في العامة الأندلسية وعامية منطقة جبالة في المغرب ، وإليها ينتمي صاحب الملعبة ، أما الشائع عند غير جبالة فهو الفتح .

-المحافظة على صيغة اسم الموصول : الذي . فاستعمالها هكذا متكرر في الملعبة، وهي المستعملة في أمثال الزجالي وأغلب النصوص الأندلسية العامية .

-ورود التنوين المفتوح، وهو نوع من التنوين شائع في الأمثال والأزجال، وقد تحدثت عنه في دراسة أمثال الزجالي. انظر ج١ ص٢٨١-٢٨٢ .

-استعمال "إكان" بمعنى لو، وأصلها أن كان ، انظر رقم ٣٤١ . استعمال " بحل" للتشبيه، وهو استعمال ما يزال جاريا في اللهجة المغربية إلى اليوم .

-استعمال "ترى" بمعنى"وإذا به". انظر الأرقام ٢٠٢، ٢٣٠، ٤٢٧ . وهو استعمال أندلسي سجله معجم Voc ص ٣٦٠.

-استعمال "لس" أي ليس. رقم١٩.

-استعمال "هَولَ" أي هؤلاء. رقم٢٥٥. وترد كذلك في الأزجال الأندلسية (العاطل الحالى: ٥٠)وهي في

معجم Voc ص ٤٤٤ .

– استعمال "ذوك" بمعنى أولئك رقم ٢٥٥.

وقد وردت في الملعبة أمثال عامية توجد عند الزجالي وابن عاصم ومنها:

اش دعانا لراس الاقرع ... رقم ١١٠.

الأعمش في حضرة العميا ... رقم ٣٥٠.

المكان ولا إمكان . رقم ٤٦ .

إذا نزل لقضا عمت الأبصار. رقم ٦٧.

زز قادسي . رقم ٤٢٥ .

در في غزولك . رقم ١٩١ .

وبعضها ما يزال مسموعًا إلى اليوم .

إن هذا التماثل بين ملعبة الكفيف الزرهوني وبين النصوص الأندلسية من حيث الاستعمال يمكن تفسيره بما يلي :

–تأثر الزجال المغربي القديم بمحفوظه من الأزجال الأندلسية .

–اشتراك لهجتي الأندلس والمغرب في عدد كبير من الألفاظ التي تعتبر ألفاظا مغربية بالمعنى الواسع .

–تأثر لهجة منطقة جبالة التي ينتمي إليها الكفيف باللهجة الأندلسية بحكم القرب والجوار، لأن أهل جبالة أو غمارة كانوا يقومون دائمًا بفرض الجهاد في الأندلس ويتطوعون بدخولها من أجل ذلك ثم يعودون إلى ديارهم، ثم أن عددًا كبيرًا من الأندلسيين استقروا بمنطقة جبالة في أفواج متعاقبة، فرارًا من الفتن التي كانت تنشأ في الأندلس، وخلال فترة الجلاء عن القواعد والمدن المفقودة ثم بعد الخروج الأخير من غرناطة وتوابعها .

ومع ما ذكرناه من مؤثرات أندلسية في الملعبة، فإنها تحتفظ بخصائص محلية، هي خصائص لهجة جبالة، وهذه المنطقة تمتد في شكل هلال من طنجة إلى تازا، وهي محفوظة بحزام من المدن هي النّكور وبادِس وتيجساس وتطوان وسبتة والقصر الصغير وطنجة وأصيلة والقصر الكبير والبصرة وأسْجَن وبني تاودة وولِيلي وفاس، وقد انتشرت

اللغة العربية في هذه المنطقة بفضل قربها من هذه المراكز الحضرية، وارتباطها بالمسالك التجارية، وانتشار المدارس القرآنية وغيرها، وساعد في تعريبها أيضا مجاورتها للأندلس وصلتها بها، وقيام إمارات إدريسية وغيرها فيها .

ويذكر الإدريسي أن القبائل المجاورة لفاس- حيث نشأ صاحب الملعبة – كانت تتكلم بالعربية، قال : "ويسكن حولها (فاس) قبائل من البربر ولكنهم يتكلمون بالعربية ، وهم بنو يوسف وفندلاوة وبهلول (بهاليل) وزواوة ومجاصة وغياتة وسلالجون".(١)

وقد درس المستعربون مثل بروفنسال وكولان هذه اللهجة الجبلية في العقود الأولى من هذا القرن، (٢) وما تزال محتفظة ببعض الخصائص التي نجدها في ملعبة الكفيف الزرهوني ومن أبرزها :

-حذف الهاء من ضمير الغائبة في مثل قول الكفيف :

مِنا أي منها . رقم ٧ .

ما أصعبا أي ما أصعبها . رقم ٥١ .

ما أشرا أي ما أشرها . رقم ٥١ .

شرقا أي شرقها . رقم ٤٩ .

ومثل هذا كثير في الملعبة .

وفي بعض الحالات نجد الشاعر يقف على الهاء المذكورة بالسكون ويفتح ما قبلها كقوله :

ما شراها مليك ولا باعَهْ. (أي باعها) رقم ١٤ .

ومثل هذا الاستعمال معروف في لهجة أهل تطوان ، فهم يقولون في المثل: إذا جات تقودَهْ بشعرا ....

وقد جمع الشاعر بين الاستعمالين في قوله (رقم ٥) :

كانت إذا ذكرت كره خَبْرا
وقال اسمَهْ يفرق الأخوان

أى كره خبرها ، وقال : اسمها .

-حذف الهاء أيضا من ضمير الغائبين

(١) نزهة المشتاق : ٢٤٦ (الطبعة الإيطالية).

(٢) لبروفسال كتاب في لهجة ورغة ولكولان كتاب في لهجة تازة .

(والغائبات) كما في قوله :
بينَمْ أي بينهم . رقم ٢١٧ .
لم أي لهم . رقم ٣٤١ .
عِنْدَمْ أي عندهم . رقم ٣٣٩.
ومثل هذا متكرر في الملعبة . وهو مما يميز لهجة جبالة عن غيرها .
- استعمال فعل " ألقى " بمعنى عمل كقوله :
حتى ألقى سلسلا لذاك الشان .رقم٣١.
وما تزال مسموعة في مناطق جبالة وقد تنطق بالراء. وهي بالراء في لهجة غرناطة. انظر ALC وقاموس دوزي .
- استعمال " فاه"من الأسماء الخمسة. ولا يوجد هذا الاستعمال في اللهجات العامية في حين أنه ما يزال موجوداً في لهجة جبالة .

وثمة بعض الظواهر الصوتية في رسم النسخة الخطية الوحيدة للملعبة ككتابة الصاد سينا في الكلمات التالية:
- السحرا أي الصحرا ء.انظر الأرقام ٣٦، ٣١٧.
- يسورو = يصورو . رقم ٤٧ .
- يسرح أي يصرح . رقم ٥٨ .
- التسريح = التصريح . رقم ٥٨.
-السح أى=الصح والصدق رقم ٢٦٧.
- الحسرا = الحصرا . رقم ٣٥٢ .
- الحسران أي الحصران والحصار. رقم ٤٧١ .

وكتابة الضاد دالاً مثل :
-ودحا=وضحى أي وأضحى. رقم ٢٢٤.

وكتابة الزاي جيمًا مثل البيجان أي البيزان . رقم ٣٣٦ .

وكتابة الجيم دالاً مثل دشم أي جشم . رقم ٢٥٢ .

ولكننا لا نعرف هل هذا يمثل لهجة جبالة أو لهجة الناسخ المجهول، ونشير بالمناسبة إلى الفرق الواضح في القراءة بين النسخة الخطية ، وما ورد من الملعبة في مقدمة ابن خلدون وأزهار الرياض ، وقد أشرنا إلى بعض هذه الفروق في حواشي الملعبة.

ويبدو أن الكفيف كان يعرف الأمازيغية، فقد استعمل جملة من كلماتها،واستعان بها في بعض قوافيه،

وها هي الكلمات الواردة في الملعبة:

-ايسان أي الخيل . رقم ١١٦ .

-اسردان أي البغال . رقم ١٤٢.

انزران أي المطر . رقم ٢٣٦ .

إيمزدغن أي السكان . رقم ٣٤٢.

-أزرزي أي الكلفة المخزنية ، ومنها الكلمة المعروفة الـــزَّرْزَاي أي الحمال، رقم ٣٤٥.

-غيلاس أي النمر أو الذئب. رقم١١٤.

- تاسا أي الوسط . رقم ٢٨٨ .

- تيسدنان أي النساء . رقم ٢٢١ .

ومن المعروف أن شيخ الزجالين ابن قزمان استعمل في أزجاله بعض الكلمات البربرية مثل أشكد .

ونشير في النهاية إلى مستوى لغوي آخر في الملعبة وهو المستوى الفصيح، ويتجلى في طائفة كبيرة من الألفاظ المعجمية مثل الران، الزرق، القطعان، الشعراء،المعجر، الصافنات، وغيرها . كما يتجلى في التراكيب العربية التي لا ينقصها إلا الإعراب. ولا شك أن هذا يدل على ثقافة الشاعر وتمكنه المتين من اللسان العربي المبين .

ومن هذا العرض الموجز والمركز فيما أحسب نعرف قيمة هذين النصّين الكبيرين المهمّين واللذين قدما إلينا مادة جديدة وغزيرة وصحّحنا على ضوئهما عدداً من المعطيات الأندلسية والمغربية وأذكر على سبيل المثال أن زميلاً تحدث في ندوة الخرجات عن الخرجة التي توجد فيها عبارة: دوش عملين،[1]-وهي عبارة أُتيح لي تصويبها في أزجال ابن قزمان، وذلك بفضل ورودها في أمثال الزجالي.[2] إن الحظوظ التي أسعدتنا بالعثور على"أمثال الزجالي"و"ملعبة الكفيف الزرهوني" قد تسعدنا بالوقوف على نصوص أخرى تغني الدراسات اللغوية و"اللهجية" في الأندلس والمغرب .

(١) هو الأستاذ O.J. Z WARTJES

(٢) نشرت محرفة في Todo Ben Quzman وصوّبت في طبعة الأستاذ كوريينتى وأشار إلى تصويبي لها.